

أهل السنة والجماعة والمدارس والتيارات الحالية في الساحة الإسلامية

أهل السنة والجماعة ومدرسة الوسطية

للدكتور: أبو بكر الشامي الرفاعي

*** مدرسة الوسطية:** تعني منهج أهل السنة والجماعة، وهم الغالبية العظمى من أمتهم، والتي اجتمعت

على كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم، من عهده أرواحنا له الفداء حتى وقتنا الراهن، والذين نزل في حقهم قول الله تعالى في كتابه العزيز:

(وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعِ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضَيِّعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُؤُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٤٣﴾) (البقرة: ١٤٣).

والذين نزل في حقهم قوله عز من قائل:

(كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١٠﴾) (آل عمران: ١١٠).

وبما أن القرآن أفضل ما يفسر به القرآن: فالأمة الوسط هي أفضل أمة وخير الأمم، فالوسط ليس يعني بين بل يعني الخيرية والأفضلية، ومعلوم أن الخيرية والفضل متجسد بما كان عليه المصطفى أرواحنا له الفداء وأصحابه رضي الله عنهم وأرضاهم بشاهد قوله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم:

(تفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة، كلهن في النار إلا واحدة، ما أنا عليه اليوم وأصحابي)

(رواه الإمام الطبراني في الأوسط عن أنس)، (ورواه الإمام الترمذي في السنن الجامع الصحيح، الذبائح، أبواب الإيمان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ما جاء في افتراق هذه الأمة).

وقد قال الله تعالى في محكم الذكر الحكيم:

{ مَا آفَاءَ اللَّهِ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ } (الحشر)

وقد قال رسوله الكريم صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم فيما صح عنه من حديث رواه الإمام الترمذي

في الفتن باب ما جاء في لزوم الجماعة عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: (إن الله لا يجمع أمتي _ أوقال

أمة محمد _ على ضلالة، ويد الله مع الجماعة، ومن شذ شذ في النار)، وقد اجتمعت الأمة بأغلبيتها

الساحقة على كتاب الله وسنة رسوله الذين عرفوا باسم: **(أهل السنة والجماعة)**، فلا بد أنهم على الحق المبين لأن الصادق المصدوق لا ينطق عن الهوى وقد أمرنا تعالى أن نأخذ ما أمرنا به. فمن دقق النظر وأعمل الفكر في الآيات والأحاديث السابقة لا بد له أن يعلم أن الأمة الوسط في الآية الأولى، هي خير أمة في الآية الثانية، وهي ما كان عليه النبي وأصحابه في الحديث الأول، وهي أمة الرسول التي لا تجتمع على ضلالة في الحديث الثاني، وهي الغالبية العظمى من أمة الرسول التي اجتمعت على كتاب الله وسنة الرسول، والذين هم أهل السنة والجماعة.

❖ **الأمة المعصومة:** والعصمة انتقلت بعده أرواحنا له الفداء إلى مجموع أمته، فهي أمة معصومة بمجموعها، فلا يمكن أن تجتمع على ضلالة في صغيرة وفي لا كبيرة، وقد نص سلطان العلماء العز بن عبد السلام المتوفى ٦٦٠ هجرية في كتابه **(بداية السؤل في تفضيل الرسول، صلى الله عليه وسلم تسليما كثيرا)** على عصمة هذه الأمة بقوله: "ومنها عصمة أمته بأنها لا تجتمع على ضلالة في فرع ولا أصل".

ملاحظة: وإن ما يعده البعض فكرا حديثا قد يكون تقليديا، إذا خلا من الاجتهاد وكان عبارة عن متابعة عمياء لما لدى الغرب، ومثال ذلك: من يتكلم الآن عن تجديد الخطاب الديني ولكنه يتخلى عن الأصول والثوابت بما يوافق هوى الغرب وأعداء الأمة، فنرى الكثيرين الذين فرطوا بدين الله مراعاة لهذه الفرقة أو تلك ظانا نفسه أنه يملك فكرا حديثا مواكبا للعصر. وإن الفكر قد يبدو تقليديا، لكنه في حقيقة الأمر يعد حديثا وعصريا، لأنه منبثق من تأمل وتدقيق ودراسة، فيتصل بالحدث عبر الاجتهاد، ومثاله: ما نحاول فعله نحن الآن من رد الناس إلى منهج أهل السنة والجماعة لأنه منهج الوسطية الذي اجتمعت عليه الأمة من عهده صلى الله عليه وسلم إلى الآن وهي لم تجتمع على ضلالة بشاهد قوله صلى الله عليه وسلم **(إن أمتي لا تجتمع على ضلالة)**.

من هم أهل السنة والجماعة؟ هم الغالبية العظمى من أمة النبي الكريم صلى الله عليه وسلم، والتي اجتمعت على كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم، من عهده أرواحنا له الفداء حتى وقتنا الراهن، وقد تمثل مذهبهم بثلاثة أركان هي:

١- **من ناحية الفقه (بالمذاهب الأربعة):** أعني مذهب الإمام أبي حنيفة النعمان، ومذهب الإمام مالك

بن أنس إمام دار الهجرة، ومذهب الإمام محمد بن إدريس الشافعي، ومذهب الإمام أحمد بن حنبل رضي الله تعالى عنهم أجمعين.

٢- **من ناحية العقيدة (بعقيدة الأشاعرة والماتريدية):** أي عقيدة الإمام أبي الحسن الأشعري، والإمام أبي

منصور الماتريدي، رضي الله عنهما.

٣- **من ناحية الأخلاق والتزكية والتربية (بالتصوف):** وطرقه المختلفة المشيدة على الكتاب والسنة، كما

قال الإمام الجنيد إمام الطائفتين أهل العلم وأهل التصوف: (طريقنا هذا مشيد على الكتاب والسنة)، وكما قال الإمام أحمد الرفاعي إمام الطريقة الرفاعية: (كل طريقة خالفت الشريعة فهي زندقة).

يقول الباحثة المحقق يوسف عبد الرزاق الأستاذ بكلية أصول الدين بالأزهر الشريف، في تعليقه على كتاب العلامة كمال الدين أحمد البياضي "إشارات المرام من عبارات الإمام"، ناقلاً قول ابن السبكي في شرح عقيدة ابن الحاجب، ما نصه: (وقال ابن السبكي في شرح عقيدة ابن الحاجب: اعلم أن أهل السنة والجماعة كلهم قد اتفقوا على معتقد واحد فيما يجب ويجوز ويستحيل، وإن اختلفوا في الطرق والمبادئ الموصلة لذلك، وبالجملة فهم بالاستقرار ثلاث طوائف:

الأولى: أهل الحديث، ومعتمد مبادئهم الأدلة السمعية، الكتاب، والسنة، والإجماع.

الثانية: أهل النظر العقلي، وهم الأشعرية والحنفية/أي الماتريدية/، وشيخ الأشعرية أبو الحسن الأشعري، وشيخ الحنفية أبو منصور الماتريدي، وهم منفقون في المبادئ العقلية في كل مطلب يتوقف السمع عليه، وفي المبادئ السمعية فيما يدرك العقل جوازه فقط، والعقلية والسمعية في غيرها، واتفقوا في جميع المطالب الاعتقادية إلا في مسائل.

الثالثة: أهل الوجدان والكشف، وهم الصوفية، ومبادئهم مبادئ أهل النظر والحديث في البداية، والكشف والإلهام في النهاية) انتهى.

وقد أشار إلى منهج أهل السنة والجماعة الشيخ الإمام إبراهيم اللقاني في أرجوزته الشهيرة "بجوهرة

التوحيد" بقوله:

ومالك وسائر الأئمة كذا أبو القاسم هداة الأمة.

فواجب تقليد حبر منهم كذا حكى القوم بلفظ يفهم.

(فمالك) هنا هو ابن أنس إمام دار الهجرة إشارة إلى أصحاب المذاهب، و(أبو القاسم) هنا هو الإمام

الجنيد إمام الطائفتين إشارة إلى التصوف، وأما عقيدة أهل السنة والجماعة (الأشاعرة والماتريدية) فقد ذكرها في باقي أبيات الجوهرة.

• مستند مذهب أهل السنة والجماعة:

وإن منهج أهل السنة والجماعة بأركانه الثلاثة إنما يرجع بأصله إلى حديث رسول الله صلى الله عليه وآله

وصحبه وسلم المسمى "حديث جبريل" الذي رواه الإمام مسلم في صحيحة:

{ حَدَّثَنِي أَبُو حَيْثَمَةَ زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ حَدَّثَنَا وَكَيْعٌ عَنْ كَهْمَسٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُرَيْدَةَ عَنْ يَحْيَى بْنِ يَعْمَرَ وَحَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُعَاذٍ الْعَنْبَرِيُّ - وَهَذَا حَدِيثُهُ - حَدَّثَنَا أَبِي حَدَّثَنَا كَهْمَسٌ عَنِ ابْنِ بُرَيْدَةَ عَنْ يَحْيَى بْنِ يَعْمَرَ قَالَ كَانَ أَوَّلَ مَنْ قَالَ فِي الْقَدْرِ بِالْبَصْرَةِ مَعْبُدُ الْجُهَنِيِّ فَأَنْطَلَقْتُ أَنَا وَحَمِيدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْحِمَيْرِيُّ حَاجِبَيْنِ أَوْ مُعْتَمِرَيْنِ فَقُلْنَا لَوْلَقِينَا أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَسَأَلْنَاهُ عَمَّا يَقُولُ هؤُلاءِ فِي الْقَدْرِ فَوُفِّقَ لَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ دَاخِلًا الْمَسْجِدَ فَاسْتَنْفَتُنِي أَنَا وَصَاحِبِي أَحَدُنَا عَنْ يَمِينِهِ وَالْآخَرَ عَنْ شِمَالِهِ فَظَنَنْتُ أَنَّ صَاحِبِي سَيَكِلُ الْكَلَامَ إِلَيَّ فَقُلْتُ يَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ إِنَّهُ قَدْ ظَهَرَ قَبْلَنَا نَاسٌ يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ وَيَتَقَفَّرُونَ الْعِلْمَ - وَذَكَرَ مِنْ شَأْنِهِمْ - وَأَنْتَهُمْ يَزْعُمُونَ أَنَّ لِقَدَرَ وَأَنَّ الْأَمْرَ أَنْفٌ. قَالَ فَإِذَا لَقِيتَ أَوْلِيكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنِّي بَرِيءٌ مِنْهُمْ وَأَنْتَهُمْ بُرَاءٌ مِنِّي وَالَّذِي يَخْلُفُ بِهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ مِثْلُ أَحَدٍ ذَهَبًا فَأَنْفَقَهُ مَا قَبِلَ اللَّهُ مِنْهُ حَتَّى يُؤْمِنَ بِالْقَدْرِ ثُمَّ قَالَ حَدَّثَنِي أَبِي عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ قَالَ بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ذَاتَ يَوْمٍ إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعْرِ لَا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ وَلَا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَحْدَيْهِ وَقَالَ يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِسْلَامِ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - (الْإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ وَتَصُومَ رَمَضَانَ وَتُحْجَّ الْبَيْتَ إِنْ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا). قَالَ صَدَقْتَ. قَالَ فَعَجَبْنَا لَهُ بِسَأَلِهِ وَبِصِدْقِهِ. قَالَ فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ. قَالَ (أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَتُؤْمِنَ بِالْقَدْرِ حَيْرِهِ وَشَرِّهِ). قَالَ صَدَقْتَ. قَالَ فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِحْسَانِ. قَالَ (أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ). قَالَ فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ. قَالَ (مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ). قَالَ فَأَخْبِرْنِي عَنِ أَمَارَتِهَا. قَالَ (أَنْ تَلِدَ الْأُمَةُ رَبَّتَهَا وَأَنْ تَرَى الْخِفَاءَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّيْءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ). قَالَ ثُمَّ انْطَلَقَ فَلَبِثْتُ مَلِيًّا ثُمَّ قَالَ لِي (يَا عُمَرُ أَتَدْرِي مِنَ السَّائِلِ). قُلْتُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ (فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ).

معاني بعض الكلمات: (الأنف: المستأنف الذي لم يسبق به قدر، يتقفر: يطلب ويتبع ويجمع).

من هذا الحديث الشريف يتبين لنا أن الدين أربعة أركان؛ ومن هنا بنى أهل السنة والجماعة منهجهم، فإن الركن الأول (الإسلام) ويمثله الفقه الإسلامي والمذاهب الأربعة، وإن الركن الثاني (الإيمان) ويمثله علم

التوحيد والعقيدة، وإن الركن الثالث (الإحسان) ويمثله علم التصوف، وإن الركن الرابع (علامات الساعة) ويمثله فقه التحولات وسنة المواقف.

ملاحظة هامة: لا تعني نسبة هذه المذاهب والعلوم لهذه الأسماء ولهُؤلاء العلماء أننا لا ننتهي للكتاب والسنة، وأنا تخلينا عنهما رغبة عنهما إلى أصحاب هذه المذاهب؛ لا ولكن هذه النسبة إنما كانت لمن دُون وقعد هذه العلوم في عصر التدوين والتقييد أي في القرن الثاني الهجري عندما ظهرت الحاجة ماسة إلى تدوين العلوم وتقييدها، وإلا فكل هذه العلوم من فقه وعقيدة وأخلاق مردها إلى المقلد الأعظم المعصوم سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم.

ملاحظة ثانية: إن أصحاب المذاهب الأربعة هم من أصحاب القرون الثلاثة الأولى، التي شهد لها النبي صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم بالخيرية وذلك بقوله: **(خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم يفشو الكذب)**، وهذا يشير إلى أنهم سلفنا الصالح ومن علينا أن نقتفي نهجهم؛ وبالتالي هم السلفيون الحقيقيون وهم أحق بهذه التسمية وأهلها. وإليك سنة مولد ووفاة كل واحد منهم بالترتيب الزمني:

- الإمام أبوحنيفة (٨٠ هـ - ١٥٠ هـ).

- والإمام مالك (٩٤ هـ - ١٧٩ هـ).

- والإمام الشافعي (١٥٠ هـ - ٢٠٥ هـ).

- والإمام أحمد (١٦٤ هـ - ٢٤١ هـ).

ملاحظة ثالثة: إن أهل السنة بتقليدهم لهؤلاء العلماء إنما يتقيدون بأمر الله تعالى في كتابه العزيز: **(فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون)**، ومعلوم بديهية أنه ليس كل الناس يعلم أحكام الشرع في كل المسائل، وليسوا قادرين على أخذ الأحكام مباشرة من الكتاب والسنة؛ وبالتالي فهم مأمورون بسؤال أهل الذكر والعلم وبذلك يعملون بالقرآن الكريم، وينفذوا تعاليمه، لا كما يزعم مخالفوهم بأنهم مبتدعون يتبعون الهوى.

• عرض موجز لعقيدة أهل السنة والجماعة أي عقيدة مدرسة الوسطية :

أعني عقيدة الأشاعرة والماتريدية، نسبة للإمام أبي الحسن الأشعري رضي الله عنه المتوفى سنة ٣٣٠ هجرية والذي ظهر بالبصرة (موطن الاعتزال والمنبت الذي نبت منه)، والإمام محمد أبي منصور الماتريدي

رضي الله عنه المتوفى سنة ٢٦٨ هجرية والذي ظهر بسمرقند (بعيدا عن موطن المعركة ولكن تردد صداها في أرضه) وكان حنفي المذهب.

من الجدير ذكره أن عمل كل من الإمامين كان بمثابة إزاحة الأتقاض أو الركام عن معالم الطريق العريضة الثابتة من قبل، والتي التقى عليها العلماء وسواد الأمة الإسلامية ابتداء من عصر النبوة فما بعد، فما ابتدع أحد منهما في العقيدة الإسلامية رأيا ولا أضاف إليها من عنده جديدا، بل كان كل منهم نصير مذهب أهل السنة والجماعة، إذ عاد كل منهما بسواد الأمة التي كادت تضيع بين صراعات الفرق والتيارات المتفرعة إلى الملاذ والمرجع الأول والأخير ألا وهو كتاب الله وسنة رسوله عليه أفضل صلوات الله وتسليماته.

وأما خلافات كل منهما مع بعضهما فكانت خلافات لفظية ليست داخلية في شيء من جوهر العقيدة وبنائها بل في مسائل جزئية اجتهادية، وهي خلافات محصورة العدد، ولا تقتضي تكفير أو تبديع الواحد الآخر.

كان أبو الحسن الأشعري معتزليا في أول أمره، تفرس بدراية أفكارهم ومعرفة أساليبهم في الجدل والنقاش، وأقبل مثلهم إلى علوم الفلسفة، ولكنه تبرأ بعد ذلك منهم وأعلن توبته من اعتناق أفكارهم، ثم انتصر للحق الذي كان عليه سواد الأمة الإسلامية إلى ذلك العهد، وقد كان له في ماضيه معهم وتفرسه بأساليبهم ودرايته بالفلسفة اليونانية التي هي جل معتمد المعتزلة، ما يسر له السبيل إلى تعريتهم والكشف عن باطلهم، فمن أجل ذلك كان ظهور المذهب الحق الذي سارت عليه الجماعة على يديه، حتى نسب هذا المذهب إليه، مع أنه كان موجودا من قبله، وكان سواد الناس من علماء وعامة يتناقلونه ويتواصون به، ولكن لم يكن ثمة من يجابه به المعتزلة ويزيف لهم آراءهم، إذ كان جميع المحدثين والفقهاء منصرفين عن ذلك إلى دراسة ما هم بصدد من علوم الحديث والرواية أو دراسة الأحكام الفقهية واستنباطها من مصادرها الشرعية.

بعد ذلك دفع الإمام أبو الحسن الأشعري كتبه إلى الناس ومنها كتاب "اللمع"، وكتاب "كشف الأسرار

وهتك الأسرار" الذي أظهر فيه عوار المعتزلة، وكان آخر مؤلفاته الذي لخص فيه عقيدة أهل السنة والجماعة

كتاب "الإبانة في أصول الديانة"، وهاكها منه دون تحريف ولا تلخيص:

((فإن قال لنا قائل: قد أنكرتم قول المعتزلة والقدرية والحرورية والرافضة والمرجئة، فعرفونا قولكم الذي به تقولون وديانتكم التي تدينون، قيل له: قولنا الذي نقوله، وديانتنا التي ندين بها، التمسك بكتاب ربنا عز وجل، وبسنة نبينا صلى الله عليه وسلم، وما روي عن الصحابة والتابعين وأئمة الحديث، ونحن بذلك معتمدون، وبما كان يقول به أبو عبد الله أحمد بن حنبل نضر الله وجهه ورفع درجته وأجزل مثوبته قائلون،

ولمن خالف قوله مجانبون، لأنه الإمام الفاضل والرئيس الكامل الذي أبان الله به الحق ورفع به الضلال وأوضح به المنهاج وقمع به بدع المبتدعين وزيع الزائغين وشك الشاكين، فرحمة الله عليه من إمام مقدم وخليل معظم مفخم وعلى جميع أئمة المسلمين.

وجملة قولنا أن نقر بالله وملائكته وكتبه ورسوله وما جاء من عند الله وما رواه الثقات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، لا نرد من ذلك شيئاً، وأن الله عز وجل إله واحد لا إله إلا هو فرد صمد لم يتخذ صاحبة ولا ولداً، وأن محمداً عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق، وأن الجنة حق والنار حق، وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور.

وأن الله استوى على عرشه كما قال (الرحمن على العرش استوى)، وأن له وجهاً كما قال (ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام)، وأن له يدين بلا كيف كما قال (خلقت يدي) وكما قال (بل يدها مبسوطتان)، وأن له عينا بلا كيف كما قال (تجري بأعيننا)، وأن من زعم أن أسماء الله غيره كان ضالاً، وأن الله علماً كما قال (أنزله بعلمه) (وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه)، وثبت لله السمع والبصر ولا ننفي ذلك كما نفته المعتزلة والجهمية والخوارج، وثبت أن لله قوة كما قال (أولم يروا أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة).

ونقول إن كلام الله غير مخلوق، وأنه لم يخلق شيئاً إلا وقد قال له كن فيكون (إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون)، وأنه لا يكون في الأرض من خير وشر إلا ما شاء الله، وأن الأشياء تكون بمشيئة الله عز وجل، وأن أحداً لا يستطيع أن يفعل شيئاً قبل أن يفعل الله، ولا نستغني عن الله ولا نقدر على الخروج من علم الله عز وجل، وأنه لا خالق إلا الله، وأن أعمال العباد مخلوقة لله مقدورة كما قال (خلقكم وما تعملون)، وأن العباد لا يقدر أن يخلقوا شيئاً وهم يخلقون كما قال (هل من خالق غير الله) وكما قال (لا يخلقون شيئاً وهم يخلقون) وكما قال (أفمن يخلق كمن لا يخلق) وكما قال (أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون)، وهذا في كتاب الله كثير.

وأن الله وفق المؤمنين لطاعته ولطف بهم ونظر إليهم وأصلحهم وهداهم، وأضل الكافرين ولم يهدهم ولم يلطف بهم بالإيمان كما زعم أهل الزيغ والطغيان، ولو لطف بهم وأصلحهم لكانوا صالحين، ولو هداهم لكانوا مهتدين كما قال تبارك وتعالى: (من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فأولئك هم الخاسرون)، وأن الله يقدر أن يصلح الكافرين ويلطف بهم حتى يكونوا مؤمنين، ولكنه أراد أن يكونوا كافرين كما علم، وأنه خذلهم وطبع على قلوبهم.

وأن الخير والشر بقضاء الله وقدره، وأنا نؤمن بقضاء الله وقدره خيره وشره حلوه ومره، ونعلم أن ما أخطأنا لم يكن ليصيبنا وأن ما أصابنا لم يكن ليخطئنا، وأن العباد لا يملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعاً إلا ما شاء الله، وأنا نلجئ أمورنا إلى الله ونثبت الحاجة والفقر في كل وقت إليه.

ونقول: إن القرآن كلام الله غير مخلوق، وأن من قال بخلق القرآن فهو كافر. وندين بأن الله تعالى يرى في الآخرة بالأبصار، كما يرى القمر ليلة البدر، يراه المؤمن كما جاءت الروايات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ونقول إن الكافرين محجوبون عنه إذا رآه المؤمنون في الجنة كما قال الله عز وجل (كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون)، وأن موسى عليه السلام سأل ربه الرؤية في الدنيا، وأن الله سبحانه وتعالى تجلّى للجبل فجعله دكا فأعلم بذلك موسى أنه لا يراه في الدنيا. ونرى بأن لا نكفر أحدا من أهل القبلة بذنب يرتكبه، كالزنا والسرقه وشرب الخمر، كما دانت بذلك الخوارج وزعمت أنهم كافرون، ونقول إن من عمل كبيرة من هذه الكبائر مثل الزنا والسرقه وما أشبهها مستحلا لها غير معتقد لتحريمها كان كافرا.

ونقول إن الإسلام أوسع من الإيمان وليس كل إسلام إيمان. وندين بأنه يقلب القلوب وأن القلوب بين أصبعين من أصابعه، وأنه عز وجل يضع السماوات على أصبع والأرضين على أصبع كما جاءت الروايات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. وندين بأن لا نزل أحدا من أهل التوحيد جنة ولا نارا إلا من شهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة، ونرجو الجنة للمذنبين ونخاف عليهم أن يكونوا بالنار معذبين، ونقول إن الله عز وجل يخرج قوما من النار بعد أن امتحشوا بشفاعه محمد صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم، تصديقا لما جاءت به الروايات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ونؤمن بعذاب القبر، وبالحوض، وأن الميزان حق، والصراط حق، والبعث بعد الموت حق، وأن الله عز وجل يوقف العباد بعد الموت ويحاسب المؤمنين، وأن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص، ونسلم للروايات الصحيحة في ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، التي رواها الثقات عدل عن عدل حتى تنتهي الرواية إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وندين بحب السلف الذين اختارهم الله عز وجل لصحبة نبيه صلى الله عليه وسلم، ونثني عليهم بما أثنى الله به عليهم ونتولاهم أجمعين، ونقول إن الإمام الفاضل بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر الصديق رضوان الله عليه، وأن الله أعز به الدين وأظهره على المرتدين، وقدمه المسلمون للإمامة كما قدمه رسول الله صلى الله عليه وسلم للصلاة وسموه بأجمعهم خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ثم عثمان بن عفان رضي الله عنه وأن الذين قاتلوه قاتلوه ظلما وعدوانا، ثم علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فهؤلاء الأئمة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلافتهم خلافة النبوة، ونشهد بالجنة للعشرة الذين شهد لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بها، ونتولى سائر أصحاب النبي صلى الله عليه

وسلم ونكف عما شجر بينهم، وندين الله بأن الأئمة الأربعة خلفاء راشدون مهديون فضلاء، لا يوازهم في الفضل غيرهم.

ونصدق بجميع الروايات التي يثبتها أهل النقل، من النزول إلى السماء الدنيا وأن الرب عز وجل يقول: هل من سائل؟ هل من مستغفر؟، وسائر ما نقلوه وأثبتوه، خلافا لما قاله أهل الزيغ والتضليل، ونعول فيما اختلفنا فيه على كتاب ربنا وسنة نبينا صلى الله عليه وسلم واجماع المسلمين وما كان في معناه ولا نبتدع في دين الله بدعة لم يأذن الله بها.

ولا نقول على الله ما لا نعلم، ونقول بأن الله عز وجل يجيء يوم القيامة كما قال (وجاء ربك والملك صفا صفا)، وأن الله عز وجل يقرب من عباده كيف يشاء كما قال (ونحن أقرب إليه من حبل الوريد) وكما قال (ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى).

ومن ديننا أن نصلي الجمعة والأعياد وسائر الصلوات والجماعات خلف كل بر وغيره، كما روي عن عبد الله بن عمر أنه كان يصلي خلف الحجاج، وأن المسح على الخفين سنة في الحضر والسفر خلافا لقول من أنكر ذلك.

ونرى الدعاء لأئمة المسلمين بالصلاح والإقرار بأمانتهم، وتضليل من رأى الخروج عليهم إذا ظهر منهم ترك الاستقامة، وندين بترك الخروج عليهم بالسيف، وترك القتال في الفتنة.

ونقر بخروج الدجال كما جاءت به الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ونؤمن بعذاب القبر ومنكر ونكير ومساءلتهما المدفونين في قبورهم، ونصدق بحديث المعراج ونصحح كثيرا من الرؤيا في المنام ونقر أن لذلك تفسيرا، ونرى الصدقة عن موتى المسلمين والدعاء لهم ونؤمن بأن الله ينفعهم بذلك.

ونصدق بأن في الدنيا سحرة وأن السحر كائن موجود في الدنيا، وندين بالصلاة على من مات من أهل القبلة برهم وفاجرهم وتوارثهم، ونقر بأن الجنة والنار مخلوقتان وأن من مات أوقتل فبأجله مات أوقتل)) انتهت.

وقد ذكر سلطان العلماء العز بن عبد السلام أن أتباع المذاهب الأربعة يدينون بهذه العقيدة المباركة، فمنهم كافة المالكية ومعظم الشافعية وقسم كبير من الحنفية وكثير من الحنابلة، ومن لم يكن من هؤلاء من أتباع الإمام الأشعري فهم من أتباع الإمام أبي منصور الماتريدي رضي الله عنهما.

• منهج مدرسة أهل السنة والجماعة في التكفير:

بشكل عام لا تكفر هذه المدرسة أحدا من أهل القبلة، فلا تكفر كل من قال **(لا إله إلا الله محمد**

رسول الله)، لأنها إنما تحكم بالظاهر والله يتولى السرائر، لقوله صلى الله عليه وسلم: **(هلا شققت على قلبه)**، ولأنه أرواحنا له الفداء كان يقبل من المنافقين ظاهر الإسلام.

فلذلك لا تكفر أهل البدع والأهواء، فلا تكفر أية جماعة أو فرقة إسلامية، بل اتفقت على تضليلهم وتخطئتهم، مستدلة بفعل سيدنا علي رضي الله عنه وهو الحجة في هذا الباب، فإنه لم يكفر شاتمته حتى لم يقتله (انظر الاختيار لتعليل المختار، للموصلية الحنفي).

والتكفير عند أهل السنة إنما هو عمل فردي (غير متعدٍ)، ولذلك هي لا تطلق التكفير هكذا جزافا، فلا تكفر تكفيرا جماعيا، بل تنسب الكفر لصاحبه، دون غيره.

فهي تثبت وتحرى في قضية الاتهام بالتكفير بشكل كبير، وتقول إن الخطأ في تبرئة مائة كافر، أهون من سفك دم مسلم واحد بتهمة الكفر بغير ذنب، فقد ورد عنه صلى الله عليه وسلم، فيما رواه الترمذي والدارقطني والحاكم وصحح إسناده: **(ادروا الحدود ما استطعتم، ومن وجدتم له مخرجا فخلوا سبيله، ولأن يخطئ الإمام في العفو خير من أن يخطئ في العقوبة)**

واليك الأدلة من أقوال العلماء في ذلك:

- الإمام أبو الحسن الأشعري يقول في كتابه **"الإبانة في أصول الديانة"** ما نصه: (ونرى بأن لا نكفر أحدا من أهل القبلة بذنب يرتكبه، كالزنا والسرقه وشرب الخمر، كما دانت بذلك الخوارج وزعمت أنهم كافرون، ونقول إن من عمل كبيرة من هذه الكبائر مثل الزنا والسرقه وما أشبهها مستحلا لها غير معتقد لتحريمها كان كافرا)، و(وندين بأن لا ننزل أحدا من أهل التوحيد جنة ولا نارا إلا من شهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة، ونرجو الجنة للمذنبين ونخاف عليهم أن يكونوا بالنار معذبين، ونقول إن الله عز وجل يخرج قوما من النار بعد أن امتحشوا بشفاعه محمد صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم، تصديقا لما جاءت به الروايات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم).

- الإمام أبو جعفر الطحاوي يقول في عقيدته المسماة **(بيان السنة والجماعة)**، ما نقله وشرحه العلامة

عبد الغني الميداني في كتابه **(شرح العقيدة الطحاوية المسماة "بيان السنة والجماعة")** ما نصه: **(ونرى الصلاة)**

جائزة (خلف كل بر) مهتد (وفاجر) معتد حيث كان (من أهل القبلة) لقوله صلى الله عليه وسلم: **(صلوا خلف كل بر وفاجر)**، ولأن علماء الأمة كانوا يصلون خلف الفسقة وأهل الأهواء والبدعة من غير نكير، وما

نقل عن بعض السلف من المنع عن الصلاة خلف المبتدع فمحمول على الكراهية، إذ لا كلام في كراهة الصلاة خلف الفاسق والمبتدع، وهذا إذا لم يؤد الفسق أو البدعة إلى حد الكفر وإلا فلا كلام في عدم جواز الصلاة خلفهم. كذا في شرح العقائد، وكذلك (نصلي على من مات منهم) أي أهل القبلة البر والفاجر بالشرط المتقدم لقوله صلى الله عليه وسلم: **(لا تدعوا الصلاة على من مات من أهل القبلة)**، (ولا ننزل أحدا منهم جنة ولا نارا ولا نشهد عليهم بكفر ولا شرك ولا نفاق) وإن كان لازم مذهبهم، لأن لازم المذهب ليس بمذهب.

قال في شرح المواقف: قال الشيخ أبو الحسن في أول كتاب مقالات الإسلاميين: اختلف المسلمون بعد نبينهم صلى الله عليه وسلم في أشياء ضلل بعضهم بعضا، وتبرأ بعضهم من بعض فصاروا فرقا متباينين، إلا أن الإسلام يجمعهم ويعممهم، فهذا مذهبه وعليه أكثر أصحابنا. وقد نقل عن الشافعي أنه قال: لا أرد شهادة أحد من أهل الأهواء إلا الخطابية فإنهم يعتقدون حل الكذب.

وحكى الحاكم صاحب المختصر في كتاب المنتقى عن أبي حنيفة: أنه لم يكفر أحدا من أهل القبلة، وحكى أبو بكر الرازي مثل ذلك عن الكرخي وغيره انتهى. (ما لم يظهر منهم من ذلك) اللازم (شيء) ظاهر كقولهم بذلك اللازم وتصريحهم به، وليس لنا أن نلزمهم بلازم مذهبهم ونحكم عليهم على مقتضاه بكفر أو شرك أو نفاق، فإن في ذلك جرأة على الله تعالى، ففي البخاري ومسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **(أيما رجل قال لأخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما)**، (ونذر) أي نترك (سرايرهم إلى الله تعالى) العالم بالسراير (ولا نرى السيف) أي سفك الدم واجبا (على أحد من أمة) نبينا (محمد صلى الله عليه وسلم إلا) على (من وجب عليه السيف) أي سفك الدم بالنص القاطع كالقاتل والزاني المحصن والمترد، ففي البخاري ومسلم عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم: (لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث: الثيب الزاني، والنفس بالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعة) {.

- الإمام أبو حنيفة يقول في عقيدته (الفقه الأكبر)، ما نقله وشرحه الملا علي القاري في كتابه "شرح

كتاب الفقه الأكبر" ما نصه: (ولا نكفر مسلما بذنب من الذنوب - وإن كانت كبيرة - إذا لم يستحلها، ولا نزيل عنه اسم الإيمان، ونسميه مؤمنا حقيقة، ويجوز أن يكون مؤمنا فاسقا غير كافر)، (والصلاة خلف كل بر وفاجر من المؤمنين جائزة).

- الإمام الغزالي يقول في كتابه **(الاقتصاد في الاعتقاد)**: (والخطأ في ترك ألف كافر في الحياة، أهون من الخطأ في سفك محجمة من دم مسلم).

• متى يثبت الكفر؟ وما موجباته؟:

ونعني بالكفر هنا الكفر الطارئ الذي يعبر عنه بالردة، وإليك أخي الأسباب الكلية التي تستوجب الردة (والتي لا خلاف بين العلماء فيها)، والتي لا تخرج أن تكون من نوع الأقوال أو الأفعال أو ما يدخل في نطاق السخرية والتحقير، وهاكها بقطع النظر عن الجزئيات الكثيرة المندرجة فيها:

- **ما يستوجب الردة من الأقوال**: وهو كل قول صريح في إنكار (ركن من أركان الإسلام، أو ركن من أركان الإيمان، أو حكم من الأحكام الإسلامية المعروفة والمعلومة من الدين بالبدهة والضرورة أي تلك التي يستوي في معرفتها خواص الناس وعوامهم)، ومثال ذلك من أنكر فرضية الصلاة أو أنكر وجود الملائكة أو أنكر تحريم الخمر.

- **ما يستوجب الردة من الأفعال**: وهو كل فعل يحمل دلالة قاطعة على شيء يتناقض مع (ركن من أركان الإسلام، أو ركن من أركان الإيمان) ومثال ذلك من سجد لصنم أو من تزيى بزى يناقض الإسلام كمن لبس الصليب.

- **ما يستوجب الردة من السخرية والاحتقار والازدراء**: ومآله إلى أن يكون داخلا في زمرة الأقوال والأفعال، ولكن العلماء أفردوه، وضابطه أن يسخر من شيء من (ركن من أركان الإسلام، أو ركن من أركان الإيمان، أو حكم من الأحكام الإسلامية المعروفة والمعلومة من الدين بالبدهة والضرورة)، ومثال ذلك أن يسخر من الحج أو القرآن الكريم أو الفقه الإسلامي.

مدرسة الوسطية: هي مدرسة أهل السنة والجماعة، المدرسة التي تمثل حقيقة الإسلام الذي أنزله الله تعالى على نبيه المصطفى ورسوله المجتبي صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم، والتي استمرت على ذلك من عهده صلى الله عليه وآله وسلم إلى يومنا هذا.

المدرسة التي سارت على المنهج الوسط، فلا غلو ولا تقصير، ولا طغيان ولا خسران، ولا إفراط ولا تفريط والتي حافظت على روح التشريع الإسلامي، عبر زمان قد كثر فيه اللغط، واختلط فيه الصواب بالغلط، وتنازعت فيه مدارس متباينة في أهدافها وفي مناهجها، ما بين مدرسة التفريط والتقصير والخسران (مدرسة المتسيبين أي أدعياء التجديد أو معطلة النصوص) وهؤلاء لا يريدون أن يتقيدوا بشيء، ولا أن تضبطهم ضوابط، ولا أن تحكمهم أصول وقواعد، زاعمين أنهم إنما يحكمون روح الدين ومقاصد الشرع، وهم أبعد

الناس عن روح الدين ومقاصد الشرع ، وما بين مدرسة الإفراط والغلو والطغيان (مدرسة المتشددين أو الحرفيين أو الجامدين أو الظاهريين الجدد أو الخوارج الجدد) وهم جامدون يعيشون في الماضي وحده، ويجترون القديم، ولا يعايشون العصر، ولا يشعرون بما تمور به الحياة من أفكار، ولا ما يجري من حولهم في العالم من أحداث، وما يجد كل يوم من جديد، فهؤلاء في غفلة عن مقاصد الشرع وعن مشاكل العصر.

فهي مدرسة (الوسطيين) الذين يجمعون بين الحسينيين، بين فقه الشرع وفقه الواقع، بين استلهام القديم والانتفاع بالجديد، بين الاستهداء بالتراث واستشراف المستقبل، بين النظر إلى المقاصد الكلية وإلى النصوص الجزئية، بين فهم النصوص الجزئية في ضوء المقاصد الكلية، فهم يجتهدون ألا يطغوا في الميزان، وأن يقيموا الوزن بالقسط ولا يخسروا الميزان.

وشأن هؤلاء دائما شأن أهل الوسط، لا يرضون أيا من الطرفين، ولا يعجبون واحدا من الفريقين السابقين، ولكن هؤلاء هم الذين يناط بهم الأمل، وينعقد عليهم الرجاء في إنقاذ الأمة، موازنين بين ثوابت الشرع ومتغيرات العصر، متحذنين من التراث نورا يهدي لا قيادا يعوق، جامعين بين القديم النافع والجديد الصالح.

وقد امتازت مدرسة أهل السنة والجماعة بالوسطية الجامعة لكل خصال الخير مثل: (الأصالة والمعاصرة)، و(التراث والحداثة)، و(الثوابت والمتغيرات)، و(النص والرأي)، و(العقل والنقل)، و(العلم والتصوف)، و(حب الآل والأصحاب)، و(البر وعدم الموالاة)، و(الدين والدنيا)، و(الانفتاح على الآخرين أي عدم الانغلاق على النفس وبين عدم الذوبان بهم والتابعة لهم وموالاتهم)، و(المحافظة على المسميات والخصوصيات وعدم إثارة الخلافات والنعرات والتفرقة).

تلك المدرسة التي تتعامل مع الواقع بالمنهج الذي اتبعه السلف لا بعيونهم (أي التي تتعدى السطحية والشكليات والظاهر وتغوص إلى أعماق المعاني).

تلك المدرسة التي ترى في الإسلام مشروعا حضاريا مستقلا، ونسقا فكريا وعمليا متكاملًا، يحترم الأنساق الأخرى، ويفتح ذراعيه للتفاعل والتلاحح معها، استجابة للأمر الإلهي بالتعاون على البر والتقوى والخير، ولكنه يرفض التبعية والذيلية الحضارية لأي نسق آخر.

تلك المدرسة التي تعني العودة إلى منهج الأغلبية الساحقة من المسلمين الذين لم يجتمعوا على ضلالة، بل اجتمعت كلمتهم على كتاب الله وسنة رسوله، والذين كانوا خير أمة أخرجت للناس، والذين عرفوا كما سبق وقلنا باسم أهل السنة والجماعة ؛ فلا غرو أن يكتب الله لهذه المدرسة القبول والانتشار بين المسلمين.

(التيارات والمدارس الحالية في الساحة الإسلامية)

في الساحة الإسلامية الحالية العديد من التيارات والمدارس والفرق التي حادت عن جادة الصواب؛ أي حادت عن منهج أهل السنة والجماعة وعن مدرسة الوسطية، فإن منهج أهل السنة والجماعة كالنهر العظيم الذي لا تكدره الدلاء، وقد تفرعت عنه تلك السواقي والجداول فهو كالأصل وهي كالفرع الذي انفصل عنه

● ملحة تاريخية:

إن من تلك الفرق فرقا قديمة قد ذر قرنها بعد وفاة الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم وبعد مرور عهد الخلافة الراشدة ولا تزال لها امتدادات حتى الآن، وإن منها فرقا ظهرت حديثا.

■ وإن منها فرقا سياسية:

(كما يقسمها علماء العقيدة والفرق الإسلامية في كتبهم)، فالفرق السياسية يكون العامل الرئيسي لنشأتها وخروجها عن سبيل أهل السنة والجماعة وعن منهج الوسطية والاعتدال، هو الخلافة وما يتعلق بها، (وهي فرقة الشيعة، وفرقة الخوارج).

■ وإن منها فرقا عقائدية:

والفرق العقائدية يكون العامل الرئيسي لنشأتها وخروجها عن سبيل أهل السنة والجماعة وعن منهج الوسطية والاعتدال، هو الاعتقاد وأموره ومسائله، (كالمعتزلة والمرجئة، والقدرية والجزيرية، وغيرها).

■ وإن منها فرقا اختلفت في مسألة (ارتكاب المعاصي عموما والكبائر خصوصا):

وهي (الخوارج، والمعتزلة، والمرجئة)، فالخوارج تقول بتكفير مرتكب الكبيرة بل بتكفير مرتكب الصغيرة وأي ذنب، والمعتزلة قالت بأن مرتكب الكبيرة قائم في منزلة بين منزلي الكفر والإيمان في الدنيا مع خلوده في النار يوم القيامة، والمرجئة فرقة جاءت تسميتها من (الإرجاء بمعنى التأخير أو الرجاء) لأنهم كانوا يؤخرون العمل عن النية والقصد (التأخير)، فالإيمان عندهم هو المعرفة بالله والخضوع له وترك الاستكبار عليه والمحبة له بالقلب، فمن اجتمعت فيه هذه الخصال فهو مؤمن وإن لم يتلفظ بالشهادتين ولم يؤد الطاعات، وما سوى المعرفة من الطاعات فليس من الإيمان، ولا يضر تركها حقيقة الإيمان، ولا يعذب على ذلك إذا كان الإيمان خالصا واليقين صادقا، وبالتالي لا تضر مع الإيمان معصية (الرجاء) ولا ينفع مع الكفر طاعة (هناك مرجئة السنة وهي تقول أن مرتكب الكبيرة مرجأ إلى الله فقد يغفر له وقد يأخذه بجريرة ذنبه، وهو نفس قول أهل السنة، ولهذا نسب الإرجاء إلى أبي حنيفة وسعيد بن جبير وحماد ابن أبي سليمان وغيرهم على هذا المعنى دون الأول).

■ وإن منها فرقا اختلفت في مسألة (إثبات القدر ونفيه):

وهي (الجبرية) فالجبرية تثبت القدر ولكنها تقول إن "الأمر جبر" وهم يتعللون بالقدر في المعصية، و(القدرية وهم جماعة معبد بن خالد الجهني) فالقدرية أرادت الرد على الجبرية بتعللها في المعصية بالقدر فنفت أن يكون القدر سالباً للاختيار في أفعال العباد -وهي تريد الدفاع عن شرعية التكليف- فضاقت عبارتهم ونفت القدر وقالت "لا قدر، والأمر أنف" الأنف: المستأنف الذي لم يسبق به قدر.

■ وإن منها فرقا جمعت إلى عقيدة الإرجاء نفي القدر ويسمون (مرجئة القدرية):

وهم أصحاب غيلان الدمشقي، وإن منها فرقا جمعت إلى عقيدة الإرجاء القول بالجبر ويسمون (مرجئة الجبرية) أو الجهمية وهم جماعة جهم بن صفوان بخراسان.

■ وإن منها فرقا خرجت عن الملة:

وهي (القاديانية، والباوية أو البهائية، والماسونية) وسوف نذكرها ههنا للتنبه إلى خطرها.

ملاحظة هامة: لا يظن ظان أننا نريد بهذا البحث التفريق بين المسلمين وإثارة النزعات المذهبية والطائفية (نعوذ بالله تعالى من ذلك!)، فإننا نستخدم التسمية للتعريف لا للتفريق، وذلك حتى نحافظ على الهوية والشخصية والخصوصية، وحتى ننسب الخير لأهله والشر لأهله، (وإن لنا أدلة على ذلك من الكتاب والسنة والمعقول نذكرها لاحقاً بحول الله تعالى وقوته).

❖ فمن تلك المدارس والتيارات ما يلي:

١- مدرسة دعاة غربة الزمان (الحرورية، الخوارج، النواصب، المذهب النجدي، الوهابية، المذهب

التكفيري، أدعياء السلفية):

وهي فرقة قديمة ظهرت ونشأت عند الحرب المستعرة التي قامت بين سيدنا علي وبين سيدنا معاوية رضي الله عنهما في موقعة صفين؛ فقد دعا سيدنا معاوية إلى تحكيم القرآن عندما أحس بالهزيمة تحدى به، فقام في جيش سيدنا علي من يؤيد هذا التحكيم ويضغط عليه أن يقبله.

فلما خضع سيدنا علي للتحكيم، وقام حكم من هذا الطرف وحكم من هذا الطرف، عاد أولئك الذين ضيقوا على سيدنا علي أن يقبل التحكيم يلومونه ويعنفونه على ما صنع (لذلك دعوا بالنواصب لأنهم ناصبوا علياً رضي الله عنه العدا)، وكفروهم رضي الله عنه بالتحكيم مع أنه دخل مكرها وقبله اجتهاداً، وانقلبوا وخرجوا عليه بعد أن كانوا شيعة له (لذلك دعوا بالخوارج)، وانحاز عنه منهم اثنا عشر ألفاً فلاحقوا "بجرواء" وهي قرية من قرى الكوفة، (وإنما سموا بالحرورية لاجتماعهم في هذه القرية وانحيازهم إليها).

فخرج إليهم سيدنا علي وقامت بينه وبينهم مناظرات، فقد روى الإمام أحمد في المسند عن عبد الله بن شداد بن الهاد: (أن عليا لما اعتزلته الحرورية، بعث إليهم عبد الله بن عباس، فواضعوه كتاب الله ثلاثة أيام، أي جادلهم بالقرآن، فرجع منهم أربعة آلاف)، وهم من أكبر فئات الخوارج عدداً وأشدّهم ضراوةً وتمسكاً بما يرون، فما لبث إلى أن حدثت بينهم وبينه حروب، ثم كان مقتله على يد واحد منهم وهو عبد الرحمن بن ملجم.

أهم المعتقدات التي انفردوا بها: كان الخوارج يعانون من ضيق في التفكير وغلظة في الطبع وقسوة في معالجة الأمور وتعصب فيما يرون؛ ويعود ذلك إلى أن أكثرهم من الأعراب والقبائل الجافية الذين لم يتذوقوا طبيعة الشريعة الإسلامية ولم يتمرسوا بمعرفتها، فما زادتهم عصبيتهم إلا بلاءً وأضافت إلى جهالتهم عنادا.

فقد تميزوا بكثرة العبادة من قيام الليل وصيام النهار وتلاوة القرآن، وهو ما عبر عنه الحديث الصحيح المتفق عليه عن أبي سعيد الخدري: (يخرج قوم تحقرون صلاتكم مع صلاتهم، وصيامكم مع صيامهم، وأعمالكم مع أعمالهم، يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، ينظر في النصل فلا يرى شيئا، وينظر في القدح فلا يرى شيئا، وينظر في الريش فلا يرى شيئا، ويتمارى في الفوق) (القدح خشب السهم والفوق موضع الوتر من السهم)، ولكن آفتهم أن الغلو دفعهم إلى استحلال دماء من سواهم من المسلمين، كما جاء في الحديث الصحيح المتفق عليه أيضا عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: (إن بعدي من أمتي قوما، يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم، يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان، يمرقون من الإسلام، كما يمرق السهم في الرمية، لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد).

وقد ذكر أن أحد المعتزلة وقع في أيديهم، فلما سألوه عن عقيدته، لم يقل لهم: أنا مسلم، بل قال: مشرك مستجير!! فتلوا قول الله تعالى: (وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه)، فأسمعوه شيئا من القرآن، ثم أبلغوه مأمنه، ولم يمسه بسوء، ولو قال لهم: أنا مسلم لم يسلم من أيديهم.

■ وقد تمسكوا من دون سائر المسلمين بمعتقدات جعلت لهم مذهبا متميزا نجملها فيما يلي:

- الخليفة لا تتم له الخلافة إلا بمبايعة تامة صحيحة، يقوم بها عامة المسلمين لا فريق منهم؛ فإذا حاد الخليفة بعد ذلك عن الحق أي كان وجب عزله فإن لم ينزل وجب قتله.
- جميع الناس في أمر الخلافة سواء، ولا فرق في ذلك بين قرشي وغيره ولا بين عربي وأعجمي.

- إنهم يميزون ألا يوجد إمام للمسلمين أصلاً، إذا اتفقوا فيما بينهم على ذلك وسارت أمورهم دون حاجة إليه. (انظر الملل والنحل للشهرستاني على هامش الملل لابن حزم، والمذاهب الإسلامية للشيخ محمد أبو زهرة).

- يكفر المسلم في اعتقادهم بارتكاب معصية ما، دون أي تفريق بين معصية وأخرى أو صغيرة وكبيرة، وحتى لو انزلق إليها خطأ أو بدافع اجتهادي (كأن اجتهد فأخطأ فهي خطيئة مكفرة)؛ ولذا كفروا علياً رضي الله عنه بالتحكيم، مع أنه دخل مكرهاً وقبله اجتهاداً، وهذا دليل على أنهم يكفرون المسلم بأي ذنب اقترفه أو خطيئة وقع فيها لا بارتكاب الكبائر فقط، (انظر الفرق بين الفرق للبغدادي).

وقد كانوا يأخذون بظواهر النصوص دون أن يعملوا فيها العقل والنظر إطلاقاً، فبينهم وبين الظاهرية من هذا الجانب نسب وتشابه؛ لذا كان سيدنا علي إذا جادلهم لم يحدثهم عن نصوص كتاب أو سنة بل يناقشهم بعمل رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم إذ لا مناص من الاعتداد به والخضوع له.

وقد نقل الشيخ محمد أبو زهرة في كتابه "المذاهب الإسلامية" عن كتاب "نهج البلاغة" صوراً من مناقشاته رضي الله عنه لهم، من ذلك:

(فإن أبيتم إلا أن تزعموا أنني أخطأت وضللت، فلم تضلون عامة أمة محمد صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم، وتأخذونهم بخطئي وتكفروهم بذنوبي؟! سيفوكم على عوانتكم تضعونها مواضع البرء والسقم وتخلطون من أذنبت بمن لم يذنب. وقد علمتم أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رجم الزاني المحصن ثم صلى عليه ثم ورثه أهله، وقتل القاتل وورث ميراثه أهله، وقطع يد السارق وجلد الزاني غير المحصن ثم قسم عليهما من الفيء ونكح المسلمات، فأخذهم رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم بذنوبهم وأقام حق الله فيهم ولم يمنعهم سهمهم من الإسلام ولم يخرج أسماءهم من بين أهله).

فرق الخوارج: اختلفوا فيما بينهم في جزئيات شتى بعد اتفاقهم أو اتفاق أكثرهم اجمالاً على تلك الأصول الأربعة الآتفة الذكر.

وتلك الفرق هي: (الأزارقة، والنجدات، والصفرية، والعجاردة، والثعالبة، والإباضية) وأقل هذه الفرق غلوا الإباضية وهم أصحاب عبد الله بن إباض (الذين كانوا يرون أن مرتكب الكبيرة يكفر كفر نعمة لا كفر ملة أي لا يخرج بها عن الملة الإسلامية، وكانوا يقولون إن دار مخالفهم من أهل الإسلام هي دار توحيد إلا معسكر السلطان فإنه دار بغية).

حاضر هذه الفرقة: وهذه المدرسة الفكرية لا تزال موجودة حتى الآن في حاضرتنا الإسلامية، وهي تعيش الماضي وتستعذبه، وتحاول أن تستحضره باستمرار ممثلاً في شخصه واجتهاداتهم، بحجة اتباع السلف

وبدعوى التمدد بالسلفية والتسمية بالسلفية (المذهب النجدي، الوهابية، المذهب التكفيري، أدعياء السلفية).

وهذه المدرسة هي من مدارس الإفراط والعلو والطغيان (مدرسة المتشددين أو الحرفيين أو الجامدين أو الظاهريين الجدد أو الخوارج الجدد)، وهم جامدون يعيشون في الماضي وحده، ويجترون القديم، ولا يعاشون العصر، ولا يشعرون بما تمور به الحياة من أفكار، ولا ما يجري من حولهم في العالم من أحداث، وما يجد كل يوم من جديد، فهؤلاء في غفلة عن مقاصد الشرع وعن مشاكل العصر.

وهؤلاء يخطئون الطريق المنشود إلى الخلاص، لأنهم يهربون إلى زمن آخر؛ فمعلوم أن توقيير السلف

مطلوب، لكن التمدد بالسلفية بدعة في الدين، كما جاء في كتاب "السلفية: مرحلة زمنية مباركة لا

مذهب إسلامي" للدكتور محمد سعيد رمضان البوطي.

- فالسلفية ليست كما يفهمها بعض الناس، فرقة من الناس تسكن جزيرة العرب، وتحيي على نمط اجتماعي معين يغلب عليه البداوة أو البدائية، وتكره المكتشفات العلمية الحديثة، ولا تحسن الانتفاع بها في دعم الرسالة، وتتبع الأعنت والأغلظ من كل رأي.

- وليست هي كما يفهمها بعضهم، فقه الإمام أحمد بن حنبل؛ ففقه الإمام أحمد رضي الله عنه أحد الخطوط الفكرية الأربعة في الثقافة الإسلامية التي تشكل المذاهب الفقهية في الإسلام.

- وليست هي كما يفهمها البعض أنها مدرسة النص؛ فإن مدرسة الرأي كمدرسة الأثر في أخذها من الإسلام والاعتماد عليه.

- وليست هي من سمو أنفسهم أهل الحديث، وسيطرت عليهم أفكار قاصرة ومحدودة في فهم الأخبار المروية؛ فإن الحديث النبوي ليس حكراً على طائفة بعينها من المسلمين بل إنه مصدر رئيسي لفقه المذهبي كله.

- وليست هي كما يفهمها البعض، أنها فكر تكفيري يكفر كل من خالفه في رأيه، ويطلق عليه حكم الابتداء، وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار، وكأنها عودة لفكر تيار الخوارج الذي يكفر المسلمين بالذنب الصغير (بالصغائر)، وبالتالي إباحة دماء وأموال وأعراض المسلمين، وذلك كمن يقوم بأعمال تخريبية تفجيرية بحق المسلمين والأمينين والمدنيين غير الحربيين، وكأنه نسي أو تناسى حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم المتفق عليه عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: (أبما رجل قال لأخيه: يا كافر، فقد باء بها أحدهما)، وحديثه أرواحنا له الفداء: (دخلت امرأة النار في هرة حبستها، لا هي أطعمتها، ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض)، وحديثه صلوات ربي وسلاماته عليه: (لنقض الكعبة حجراً حجراً أهون عند الله

تعالى من إراقة دم المسلم)، وحديثه صلى الله عليه وسلم: (من أعان على قتل مسلم، ولو بشطر كلمة، لقي الله تعالى، مكتوب بين عينيه: آيس من رحمة الله)، وغير ذلك من الأحاديث التي تحرم دم المسلم والذمي غير الحربي.

وإليك أخي ما جاء في حق هذه المدرسة وما قيل عنها بهذا الصدد بنصه، من كتاب "فقه الجهاد" للدكتور يوسف القرضاوي، في الصفحة ١٩٩، في الفصل الخامس، تحت عنوان مواقف الناس أمام جهاد الداخل:

٢- المهجومون (دعاة العنف المسلح): وهناك فئة على النقيض من هؤلاء تمثل الطرف المقابل، هم الذين يستخدمون العنف، ويدعون إلى الخروج المسلح بلا حكمة ولا تحقيق لشروطه ولا دراسة لعواقبه وآثاره، أيصلح أم لا يصلح؟ أم يضر أم ينفع؟.

وهذا ما قامت عليه جماعات (الجهاد) في عصرنا، التي ظهرت في أكثر من بلد إسلامي، أحسب أنها بدأت في مصر، ثم انتقلت إلى الجزائر، وإلى غيرها من بلاد العرب والمسلمين، وأفكارها خليط من السلفية المتشددة وجماعة التكفير وجماعات العمل المسلح. وأفكار هؤلاء شبيهة بأفكار الخوارج في تاريخنا القديم، فقد تميز الخوارج بالقول بوجوب الخروج على حكام زمانهم، الذين اعتبروهم ظالمين بل كافرين، بل إن تسميتهم (الخوارج) تدل على ذلك، أي خوارج على الحكم.

فهم يكفرون الحكام بجورهم وارتكابهم المظالم والمعاصي، بل هم يكفرون كل من ارتكب كبيرة ولم يتب منها حاكما أو محكوما، ويكفرون من رضي بحكم هؤلاء الأمراء وسكت عنهم ولم يعادهم ويقف في وجههم ثائرا عليهم عاصيا لهم.....وغفل هؤلاء الأخوة المتحمسون: أن استعمال القوة في إزالة المظالم وتغيير المنكر، له شروطه التي يجب أن تراعى، وله ضوابطه التي ينظر فيها إلى (المآلات) وهي النتائج والآثار التي تترتب على التغيير باليد، فكيف إذا كان التغيير بالمقاتلة والمجاهدة بالسيف والآلة؟) انتهى كلام الدكتور القرضاوي.

بل يجب فهم السلفية على أنها نزعة عقلية وعاطفية ترتبط بخير القرون (أعني القرون الثلاثة الأولى من عمر الأمة الإسلامية التي تتابعت خلالها أجيال الصحابة والتابعين وتابعي التابعين)، والتي امتدحها النبي الأمين صل الله عليه وآله وصحبه وسلم بقوله: (خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم يفسو الكذب).

والتوجيه الإسلامي يدعوننا إلى أن نربط عقولنا وسلوكنا برابطة الولاء للسلف، والافتداء بهم، والانضباط بقواعد فهمهم للنصوص، والتقيد بكل ما اتفق عليه جميعهم أو جلهم من المبادئ الاعتقادية والأحكام السلوكية.

ولكن يجب علينا جميعاً أن نعلم أن اتباع السلف ليس مراداً ولا مطلوباً لمجرد كونهم سلف هذه الأمة في الترتيب الزمني، بل لكونهم أحرى الناس بفهم كلام الله ومعرفة سنة رسوله.

وعلياً أن نعلم أن اتباع السلف لا يكون بالانحباس في حرفية الكلمات التي نطقوا بها، أو المواقف الجزئية التي اتخذوها - لأنهم هم أنفسهم لم يفعلوا ذلك - وإنما يكون بالرجوع إلى ما احتكموا إليه أنفسهم من قواعد تفسير النصوص وتأويلها، وأصول الاجتهاد والنظر في المبادئ والأحكام؛ وهذا الرجوع إلى هذه القواعد والأصول واجب المسلمين في كل العصور وهو القاسم المشترك لجميع المسلمين .

ويقول الدكتور يوسف القرضاوي في كتابه فقه الجهاد في الصفحة ١٠٣٨ تحت عنوان (جوانب الخلل في فقه العنف) ما نصه: (جوانب الخلل في فقه العنف: لقد أشرنا إلى الخلل في فقه هؤلاء الخوارج المحدثين، وذكرنا أن الخلل في هذا الفقه الأعرج الأعوج يتمثل في عدة جوانب:

- خلل في فقه الجهاد، والعلاقة بغير المسلمين، وخصوصاً أهل الذمة.
 - خلل في فقه تغيير المنكر بالقوة.
 - خلل في فقه الخروج على الحكام.
 - خلل في فقه التكفير) انتهى كلام الدكتور القرضاوي.
- متى ظهر التمدب بالسلفية؟:

منذ عصر السلف الأول (أعني القرون الثلاثة الأولى) وعلى مر التاريخ والأغلبية الساحقة من المسلمين قد اجتمعت كلمتهم على كتاب الله وسنة رسوله؛ وقد جمعوا بين النص والرأي، وبين حكم النقل والعقل، وبين العلم والتصوف، وبين محبة الآل والأصحاب، وقد عرفوا باسم (أهل السنة والجماعة)، وهم السواد الأعظم لهذه الأمة، وقد ورد عن الصادق المصدوق قوله: (إن أمتي لا تجتمع على ضلالة) وقد كان اجتماعهم على هذا المنهج هو السبيل إلى وحدة المسلمين على مدار القرون التي خلت.

وقد مرت تلك القرون دون أن نسمع عن أي من علماء وأئمة هذه القرون أن استقامة المسلمين على الرشد يتمثل في انتسابهم إلى مذهب يسمى (بالسلفية)، فإنه من غير الممكن ومن غير المعقول أن تجتمع هذه الأمة على ضلالة طوال هذه الفترة، لأن من قال أن الأمة كانت على ضلالة لمدة قرون ثم جاء من يصحح لها مسارها إنما يطعن والعياذ بالله تعالى في صدق الصادق المصدوق صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم).

لكن مبدأ ظهور شعار السلفية كان في مصر مع ميلاد ما سمي "حركة الإصلاح الديني" التي شهدتها مصر مع نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، وهي الحركة التي قادها: (جمال الدين الأفغاني، ومحمد عبده) (حبذا الرجوع إلى كتاب الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي "شخصيات استوقفتني" ففيه كلام نفيس عن هاتين الشخصيتين)، ومن بعدهما: (رشيد رضا، وعبد الرحمن الكواكبي) في تلك المرحلة كانت بصمات الانحطاط بادية في كل اتجاه، وكان المناخ مهياً لانتشار البدع والخرافات والأوهام بين بعض قطاعات من المسلمين، فبرز دعاة النهضة يحاولون إصلاح الأمة.

ونظرا إلى أن كل دعوة إصلاحية ينبغي أن يرتفع لها شعار معين بين الأوساط تتجسد في حقيقته ومعناه بحيث يجذب الناس عن طريقه إليها؛ فقد كان الشعار الذي رفعته أقطاب هذه الحركة هو السلفية. ولقد طاب لأقطاب تلك الحركة الإصلاحية أن يستثيروا غيرة الناس على الإسلام، وأن يهيجوا كراهيتهم للصورة التي انتهى إليها حال أكثر المسلمين، بمقارنة فكرية يعقدونها بين واقع الإسلام والمسلمين في عصره المشرق وواقعه معهم في هذا العصر فوق اختيارهم على شعار "الاسلفية".

في تلك الظروف ولد الشعار وتبينته وروجت له حركة الإصلاح الديني؛ ولم يكن يعني مذهبا إسلاميا جديدا، وإنما كان عنوانا على دعوة، وتعريفا بمنهج.

ولقد انتشر الشعار بين دعاة الإحياء الإسلامي حتى أطلق عنوانا "للمكتبة السلفية" و "المطبعة السلفية"، اللتين اشتهرتا في مصر وكان يديرهما محب الدين الخطيب أحد رواد الإحياء الإسلامي.

- في تلك الفترة كانت الحركة الوهابية المنسوبة إلى الشيخ محمد بن عبد الوهاب (١٧٠٣-١٧٩٢ م) منتشرة في نجد وبعض أطراف الجزيرة العربية، وكان هناك قاسم مشترك بين الدعوتين تمثل في محاربة الخرافات

والأوهام والشعوذة والمعجزات وخوارق العادات (لا سيما ما ينسب إلى الصوفية !!) (تذكر أخي أن التصوف

هور كن من أركان أهل السنة والجماعة، وأنه لا خرافات ولا أوهام ولا شعوذة فيه) ؛ (ولكن من الجدير ذكره

والاعتراف به أن هناك ممارسات خاطئة لبعض من ينتسب إلى التصوف ولم يكن صوفيا حقيقيا ممثلا لمنهج

أهل التصوف، ومن الجدير ذكره أيضا أنه دس عليهم ونسب لهم ما هم منه براء، ولكن من جهة أخرى على

من أراد إنكار المنكر وكان موضوعيا أن لا يعمم بحكمه فعليه أن ينكر المنكر المتفق على إنكاره لا أن ينكر

الأمر المختلف فيها، بل عليه ألا يتجاوز حده أبدا بتكفيره لكل أهل التصوف فهذا بهتان عظيم).

- فراجت كلمة السلف والسلفية بين أقطاب الحركة الوهابية، ولقيت هوى في نفوس كثير منهم ممن كانوا يتبرمون بكلمة الوهابية التي توحى بأن ينبوع هذه الحركة إنما يقف عند الشيخ محمد بن عبد الوهاب؛ فدعاهم ذلك إلى أن يستبدلوا بكلمة الوهابية هذه كلمة السلفية.

وهكذا تحولت الكلمة من شعار أطلق على حركة إصلاحية إلى لقب ارتبط بمدرسة أو بتيار يرى أصحابه أنهم الوحيدون على الحق وأن غيرهم مقيم على البدع والمحدثات والكفر والشرك (وأنهم دون غيرهم الأمان على عقيدة السلف!!) (تذكر أخي أن عقيدة الأشاعرة والماثرية هي عقيدة السلف الصالح، وأنها

ركن من أركان أهل السنة والجماعة)، (فما كان لأحد أن يتجاوز حده ويكفرهم ويستبدل بعقيدتهم عقيدة أخرى!!).

- بمضي الوقت انحسر شعار أهل السنة والجماعة المستقر في الضمير الإسلامي منذ قرون معبرا عن صحة الالتزام بكتاب الله وسنة رسوله، وابتدع شعار السلفية الذي ربما أوحى ظاهره بأنه يقوم على ذات منهج أهل السنة والجماعة الذي التقى عليه أئمة الإسلام، لكنه صار في الحقيقة شعارا (لفريق من الناس يتمسكون بقائمة من الاجتهادات المعينة!!) والتي صارت في عرفهم فيصلا بين أهل الرشد والضلال. (تذكر

أخي أن المذاهب الأربعة هي فقه السلف الصالح، وأنها ركن من أركان أهل السنة والجماعة)، (فما كان لأحد أن يتجاوز حده بأن يصفهم بالضلال والابتداع وأن يستبدل بفقههم فقها آخر!!).

وهنا وجه الخطأ والخطر فإذا تعددت الاجتهادات الفقهية التي يقتضيها المنهج، واتسع الفهم والسند الشرعي لأكثر من موقف ورأي، لا ينبغي أن يحتكر صاحب الرأي الحق لنفسه، ويتهم غيره بالضلال والابتداع وبغير ذلك من الاتهامات الجائرة التي تمزق الصف المسلم وتثير المشاكل في كل مكان.

وهذا لا يعني أننا نريد من هؤلاء الأخوة أن يتخلوا عن آرائهم الاجتهادية الفقهية التي اقتنعوا بها، فإن المسلمين يسعهم أن يأخذوا في هذه المسائل وأمثالها بما قد يهديهم اجتهادهم، ولا عليهم أن يتفقوا في هذه الاجتهادات، أو يختلفوا فيها.

ولكن نذكرهم بأن عليهم ألا يجعلوا من آرائهم هذه مظهرا للدين الحق الذي لا محيد عنه إلا إلى الضلال والابتداع، ونطلب منهم ألا يكفروا أهل السنة والجماعة (أعني أصحاب المذاهب الأربعة، والأشاعرة والماثرية، وأهل التصوف)، وألا يسموا أنفسهم بدلا منهم بأهل السنة والجماعة فهذا لا يجوز ولا يستقيم.

٢- مدرسة حب الآل دون الأصحاب (الشيعة أو الروافض):

من المعلوم أن نشأة التشيع كانت عند تمام البيعة لسيدنا أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه، ولكنه لم يظهر مذهبا على صعيد المجتمع الإسلامي إلا في أواخر عهد وخلافة سيدنا عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه، أما شأنه فيما بين ذلك فإنما كان وجهة نظر قامت يوم السقيفة (سقيفة بني ساعدة)، ثم هدأت وطويت باستقرار الأمر لأبي بكر رضي الله عنه واجتماع الناس على بيعته، لا سيما عندما بايعه سيدنا علي رضي الله عنه بذاته، وقد كانت بيعته له بعد وفاة فاطمة رضي الله عنها بعشرة أيام، وقيل بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم بثلاثة أشهر، وقيل غير ذلك.

■ ويتلخص مذهبهم الذي يتفقون عليه جميعا في النقاط التالية:

- ليست الإمامة (أي تعيين الخليفة) من المصالح العامة التي تفوض إلى نظر الأمة بحيث يعتمد الشخص الذي تختاره من بينها للنهوض بهذا الأمر، بل هي ركن الدين عندهم وقاعدة الإسلام، وليس من شأن النبي إغفاله ولا تفويضه إلى ما تراه الأمة، بل يجب عليه أن يعين لهم الإمام من بعده.
- لا بد أن يكون الإمام معصوما من المعاصي بنوعيتها (الكبائر والصغائر).
- إن عليا رضي الله عنه هو الإمام الذي عينه رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم للأمة من بعده (وبالتالي هو أحق بالخلافة من الخلفاء الراشدين الذين جاؤوا قبله).
- بعد اتفاقهم على هذه النقاط الثلاثة، اختلفوا وتفرقوا بصدد النظر في أمور أخرى (وخصوصا في أمر الخلافة من بعد علي رضي الله عنه) إلى الفرق التالية:
- فرقة ترى أن مساق الخلافة من بعد علي رضي الله عنه في ولد فاطمة رضي الله عنها، بالنص عليهم واحدا إثر آخر: وأصحاب هذا الرأي هم (الإمامية أو الاثني عشرية) (نسبة إلى مقاتلتهم باشرط معرفة الإمام وتعيينه في الإيمان)، وهؤلاء يرون في الأئمة الاثني عشر - أعني أئمة آل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم - أن إمامتهم هي إمامة عصمة ووصاية، وهم المتبعون عندهم في أمر الدين والدنيا، ولا يرون الصلاة إلا خلف المعصوم، ويقولون لقد انقطع حكم الائتتمام لفقد المعصوم، إذ آخر المعصومين عندهم الإمام المنتظر رضي الله عنه (أي الإمام محمد بن الحسن العسكري).
- وفرقة ترى أن مساق الخلافة في ولد فاطمة، لكن بالاختيار من الشيوخ: على أن يكون الإمام منهم عالما زاهدا جوادا شجاعا، وأصحاب هذا الرأي هم (الزيدية) نسبة إلى صاحب المذهب وهو زيد بن علي بن الحسين، ولما ناظر الإمامية زيدا في إمامة الشيخين (أي سيدنا الصديق وسيدنا الفاروق) ورأوه يقول بإمامتهما ولا يتبرأ منهما رفضوه ولم يجعلوه من الأئمة المعتمدين وبذلك سمو رافضة.

- وفرقة ترى أن مساق الخلافة بعد علي وابنيه السبطين إلى أحيهما محمد بن الحنفية رضي الله عنه ثم إلى ولده: وأصحاب هذا الرأي هم (الكيسانية) نسبة إلى كيسان مولى محمد بن الحنفية.

- وقد نشأت عندهم فرق يسمون (الغلاة): تجاوزوا حد العقل والإيمان، فمنهم فرقة قالت بألوهية كثير من هؤلاء الأئمة، ومنهم فرقة المخطئة التي قالت بأن جبريل عليه السلام أخطأ في نزوله بالوحي على محمد صلى الله عليه وسلم بدل علي رضي الله عنه، ومنهم فرقة الحلولية التي تقول بحلول الله -تعالى عن ذلك علوا كبيرا- في سيدنا علي رضي الله عنه.

بينما مدرسة الوسطية تجمع بين حب الآل والأصحاب رضي الله عنهم أجمعين، وتقول فيما حصل بين بعضهم البعض ما قال الله تعالى في محكم الذكر الحكيم: **(تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٤﴾)** (البقرة: ١٣٤)، وتقول بقول الخليفة الراشد الخامس عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه فيما شجر بين الآل والأصحاب: **(أولئك قوم طهر الله سيوفنا من دمائهم، أفلا نطهر ألسنتنا من أعراضهم).**

وترى أن موضع النظر والبحث في هذه المسألة قد طوي وزال، إذ هي مسألة تاريخية فصل الزمان والواقع في أمرها، وحسبنا أن نعلم أن سيدنا عليا رضي الله عنه وهو موضوع هذا البحث وبطل هذه المسألة وأصلها قد بايع بنفسه أبا بكر رضي الله عنهما واستقر الأمر على ذلك. وخاصة أن نبش هذا الماضي لا توجد له اليوم أي ظلال تطبيقية، بل هو أمر من قضاء الله وقدره سعدت به الأمة الإسلامية بخلافتهم وإمرتهم جميعا، ولو كان الترتيب على خلاف ذلك لخسر المسلمون خلافة واحد منهم على أقل تقدير.

وتقول مدرسة الوسطية في أئمة آل بيت النبي الكريم هم أئمة أهل السنة رضوان الله عنهم، فكل واحد منهم إمام الآل في زمنه، وصاحب مرتبة القطبية الكبرى عند القوم، وهو المرجع لصنوف أهل الله، والمتبع في طريقة الحال المحمدي في أوانه، وهم محفوظون بحفظ الله الذي حفظ به أوليائه وعباده الصالحين، ويقولون فيهم بقول الإمام معين الدين الخطيب الحصكفي الشافعي رحمه الله من قصيدة شهيرة له ذكرها الكثير من المؤرخين يمدح بها أئمة آل البيت رضي الله عنهم:

أقر إعلانا به أم أجد

وسائل عن حب أهل البيت

حبهم وهو الهدى والرشد

هيات ممزوج بلحمي ودمي

ثم علي وابنه محمد

حيدرة والحسنان بعده

وجعفر الصادق وابن جعفر
 موسى ويتلوه علي السيد
 أعني الرضى ثم ابنه محمد
 ثم علي وابنه المسدد
 الحسن التالي ويتلوه
 محمد بن الحسين الأجد
 فإنهم أئمتي وسادتي
 وإن لحاني معشر وفندوا
 أئمة أكرم بهم أئمة
 أسماؤهم مسرودة تظرد
 هم حجج الله على عباده
 بهم إليه منهج ومقصد
 هم النهار صوم لربهم
 وفي الدياجي ركع وسجد
 قوم أتى في هل أتى مديحهم
 وهل يشك فيه إلا الملحد
 قوم لهم مجد وفضل باذخ
 يعرفه المشرك والموحد
 إلى أن قال رحمه الله:
 يا أهل بيت المصطفى وعدتي
 ومن على حبيهم أعتد
 أتم إلى الله غدا وسيلتي
 وكيف أخشى وبكم أعتد
 وليكم في الخلد حي خالد
 والضد في نار لظى مخلد
 ولست أهواكم لبغض غيركم
 إني إذا أشقى بكم لا أسعد
 فلا يظن رافضي أنني
 وافقه أو خارجي مفسد
 محمد والخلفاء بعده
 هم أسسوا قواعد الدين لنا
 ومن يخن أحمد في أصحابه
 هذا اعتقادي فالزموه تفلحوا
 هذا طريقي فاسلكوه تهتدوا

والشافعي مذهبي مذهبه

لأنه في قوله مسدد

٣- مدرسة دعاة غربة المكان (المنبهين بالغرب، دعاة التغريب، الإصلاحيين):

وهي مدرسة في الساحة الإسلامية لا ترى خلاصا إلا باستنساخ التجربة الغربية، ومحاولة تطويع الواقع في إطارها، دون اعتبار لفوارق الخصوصية الحضارية لهذا الواقع أو ذاك، وإن هؤلاء يخطئون الطريق المنشود إلى الخلاص لأنهم يهربون إلى نمط حضاري آخر.

فقد تسلسل الكيد الاستعماري إلى صدور بعض قادة الفكر العربي، بسبب الانبهار الذي أصيب به كثير من الباحثين والمفكرين المسلمين من أبناء النهضة العلمية في أوروبا، ومؤدى هذا الكيد أن الغرب لم يتحرر من أغلاله إلا يوم أخضع الدين لمقاييس العلم، فالدين شيء والعلم شيء آخر، ولا يتم التوفيق بينهما إلا بإخضاع الدين للعلم.

ويقولون إذا كان العالم الإسلامي حريصا حقا على هذا التحرر فلا مناص له من أن يسلك الطريق ذاته، وأن يفهم الإسلام هنا كما فهم الغرب النصرانية هناك، ولا يتحقق ذلك إلا بتخلص الفكر الإسلامي من سائر الغيبات التي لا تفهم ولا تخضع لمقاييس العلم الحديث؛ فانبهرت أبصار من لم تترسخ حقائق الإيمان في قلوبهم، ولا تجلت حقائق العلم الحديث وضوابطه في عقولهم؛ فتنادوا فيما بينهم مسرعين إلى التحرر من كل عقيدة غيبية لم تصل إليها اكتشافات العلم الحديث.

وكان من جراء ذلك أن قاموا بما سموه آنذاك "حركة الإصلاح الديني" التي اتخذت لها شعارا وعنوانا "السلفية"، ولكن للأسف في الوقت الذي ادعت فيه القرب من السلف في زاوية بعينها وهي التي تتعلق بدعوى (محرارية البدع والمحدثات) و(محرارية الشعوذة والخرافات والمعجزات وخواص العادات)، ابتعدت عن السلف وأعرضت عن حاله وواقعه بالنسبة لكثير من الزوايا والجوانب الأخرى (بدعوى المعاصرة والحداثة)، (وهذا أمر مثير للشكوك والريبة !!).

فقد غفل أولئك القوم أو تغافلوا عن حقيقة أن تلك الدعوة إلى ثورة إصلاحية في شؤون العقيدة (بدعوى محاربة البدع والمحدثات) إنما هي في حقيقتها نفس هذه العقيدة (عقيدة أهل السنة والجماعة أعني عقيدة الأشاعرة والماتريدية) من جذورها.

ولقد غفل أولئك القوم أو تغافلوا عن حقيقة أن تلك الدعوة إلى ثورة إصلاحية في شؤون التصوف (بدعوى محاربة الشعوذة والخرافات والأوهام والمعجزات وخواص العادات) إنما هي في حقيقتها نفس لهذا الركن من أركان منهج أهل السنة والجماعة من جذوره.

ولقد غفل أولئك القوم أو تغافلوا عن حقيقة أن تلك الدعوة إلى ثورة إصلاحية في شؤون الشريعة (بدعوى الحداثة والمعاصرة دون الحفاظ على الثوابت والأصالة والتراث) إنما هي في حقيقتها نفس لهذه الشريعة (بمذاهبها الأربعة أعني مذاهب أهل السنة) من جذورها.

فإذا ما عرفنا أن رواد حركة الإصلاح الديني كانوا منظمين في منظمات ماسونية في مصر مثل منظمة "كوكب الشرق" بل كانوا زعماء في تلك المنظمات (راجع كتاب "شخصيات استوقفتني" للدكتور محمد سعيد البوطي)، وإذا ما عرفنا علاقتهم الحميمة مع الغرب ودراساتهم في جامعاتهم وتأثرهم الكبير بهم، وإذا ما عرفنا التناقض بين رفع شعار السلفية وبين مخالفة السلف في منهجهم، وإذا ما عرفنا محاولتهم إصلاح مذهب أهل السنة في الظاهر ومحاربه في الباطن، لا جرم أن يخطر في بالنا التساؤلات التالية:

هل يا ترى كان هدف حركة الإصلاح الديني تلك نفس منهج أهل السنة والجماعة بأركانه الثلاثة؟! وهل يا ترى كان الهدف من وراء ذلك نفس الخلافة الإسلامية العثمانية؟! وبالتالي هل يا ترى كانت حركة الإصلاح الديني تلك مثل حركة الإصلاح الديني التي حدثت في أوروبا في المسيحية؟! أي بعبارة أخرى هل كانت بإيحاء من الحركة الصهيونية العالمية وبتأييد من الماسونية اليهودية!؟.

ولقد جاء في كتاب الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي "فقه السيرة النبوية" ما يلي:

(السيرة النبوية - كيف تطورت دراستها وكيف يجب فهمها اليوم- السيرة النبوية على ضوء المذاهب الحديثة في كتابة التاريخ:

في القرن التاسع عشر ظهرت طرائق كثيرة في كتابة التاريخ وتدوينه، إلى جانب الطريقة الموضوعية أو ما يسمونه بالمذهب العلمي، وقد تلاقى معظم هذه المذاهب فيما أطلق عليه اسم المذهب الذاتي، ويعد (فرويد) من أكبر الدعاة إليه والمتحمسين له.

ولا يرى أقطاب هذا المذهب من ضير في أن يقحم المؤرخ نزعتة الذاتية أو اتجاهه الفكري أو الديني أو السياسي، في تفسير الأحداث وتعليلها والحكم على أبطالها، بل أنهم يرون أن هذا واجب المؤرخ، لا مجرد وصف الأخبار وتجميع الوقائع العارية...

والحقيقة أن هذه المذهب الجديد في كتابة التاريخ، قد أصبح أساسا لمدرسة جديدة في دراسة السيرة النبوية وفهمها عند طائفة من الباحثين، فكيف نشأت هذه المدرسة؟ وما هي عوامل نشأتها؟ وما مصيرها اليوم؟:

تعود نشأة هذه المدرسة إلى أيام الاحتلال البريطاني لمصر، لقد كانت مصر آنذاك منبر العالم الإسلامي، يرنو إليه بتفكيره وعقله كل من أراد أن يعلم عن الإسلام علماً، كما يرنو إلى كعبة الله بوجهه كل من أراد حجا أو صلاة.

وكان في استمرار هذا الصوت العظيم من جانب، وفي استمرار إنصات العالم الإسلامي إليه من جانب آخر، ما لا يدع للاحتلال البريطاني فرصة هدوء أو استقرار، ومهما أخضعت بريطانيا لنفسها الوادي كله تحت سلطان من قوة الحديد والنار، فإنه خضوع موقوت لا يطمأن إليه، ما بقيت للأزهر هذه القيادة الحية، لذا فقد كان لا بد للاحتلال البريطاني من الإقدام على أحد علاجين لا ثالث لهما:

■ أولهما: أن يقطع ما بين الأزهر والأمة، بحيث لا يبقى له عليه سلطان.

■ ثانيهما: أن يتم التسلل إلى مركز العمليات القيادية في الأزهر ذاته، فتوجه قيادته الوجهة التي ترضي مصالح الاحتلال وتهيئ له أسباب الطمأنينة والاستقرار.

ولم تتردد بريطانيا في اختيار العلاج الثاني، نظراً إلى أنه أقرب منالا وأبعد عن الملاحظة والانتباه. وكان السبيل الوحيد إلى هذا التسلل نحو القيادة العلمية والفكرية داخل الأزهر، الاعتماد على نقطة ضعف أليمة كانت تعاني منها مشاعر الأمة الإسلامية عامة، بما فيها مصر وغيرها، وهي إحساس المسلمين بما انتابهم من الضيعة والتخلف والشتات، إلى جانب ملاحظتهم للنهضة العجيبة التي نهضها الغرب في شتى المجالات الفكرية والعلمية والحضارية.

لقد كان المسلمون يتطلعون ولا ريب إلى اليوم الذي يتحررون فيه من الأثقال التي خلفتهم إلى الوراء، ليشتركوا مع الآخرين في رحلة الحضارة والمدنية والعلم الحديث.

من هذا السبيل تسلل الهمس، بل الكيد الاستعماري إلى صدور بعض قادة الفكر في مصر، ولقد كان مؤدى هذا الهمس أن الغرب لم يتحرر من أغلاله، إلا يوم أخضع الدين لمقاييس العلم فالدين شيء والعلم شيء آخر، ولا يتم التوفيق بينهما إلا بإخضاع الأول للثاني.

وإذا كان العالم الإسلامي حريصاً حقاً على مثل هذا التحرر فلا مناص له من أن يسلك الطريق ذاته، وأن يفهم الإسلام هنا، كما فهم الغرب النصرانية هناك، ولا يتحقق ذلك إلا بتخليص الفكر الإسلامي من سائر الغيبات التي لا تفهم ولا تخضع لمقاييس العلم الحديث...

ولكن أعينهم غشيت في غمرة انبهارها بالنهضة الأوروبية الحديثة، وما قد حف بها من شعارات العلم وألفاظه، فلم تبصر من حقائق المنطق والعلم إلا عناوينها وشعاراتها، وقد كانوا بأمس الحاجة إلى فهم كامل لما وراء تلك العناوين، وإلى هضم صحيح لمضمون تلك الشعارات، فلم يعد يستأثر بتفكيرهم إلا خيال نهضة (إصلاحية) تطور العقيدة الإسلامية هنا كما تطورت العقيدة النصرانية هناك.

وهكذا، فقد كان عماد هذه المدرسة الحديثة التي أشرنا إليها بإيجاز هياجا في النفس، أكثر من أن يكون حقيقة علمية مدروسة استحوذت على العقل). انتهى كلام الدكتور سعيد.

وقد جاء في كتاب الدكتور محمد السماك "الأصولية الإنجيلية" عند حديثه عن الأصولية الإنجيلية (أي تغلغل الفكر اليهودي والأديبات اليهودية إلى صميم العقيدة المسيحية) والتي ظهرت بعد حركة الإصلاح الديني البروتستانتية (اللوثرية) الذي كان زعيمها "مارتن لوثر" رائد المذهب البروتستانتية (والذي كان مؤيدا لليهود بادئ أمره ثم غير موقفه منهم بعد أن كشف كذبهم في كتابه "اليهود وأكاذيبهم")، والتي كانت أيضا بعد ظهور حركة الإصلاح الديني البروتستانتية التطهيرية (الكالفانية) والتي كان زعيمها "جون كالفن"، جاء في كتاب الدكتور السماك ما يلي: (الأديبات اليهودية التي تسربت إلى صميم العقيدة المسيحية تدور حول أمور ثلاثة:

الأمر الأول: هو أن اليهود هم شعب الله المختار، وأنهم يكونون بذلك الأمة المفضلة على كل الأمم.
الأمر الثاني: هو أن ثمة ميثاقا إلهيا يربط اليهود بالأرض المقدسة في فلسطين، وأن هذا الميثاق الذي أعطاه الله لإبراهيم عليه السلام هو ميثاق سرمدى حتى قيام الساعة.
الأمر الثالث: هو ربط الإيمان المسيحي بعودة السيد المسيح بقيام دولة صهيون، أي بإعادة تجميع اليهود في فلسطين حتى يظهر المسيح فيهم.
هذا الأمر الثلاثة ألفت في الماضي وهي تؤلف اليوم قاعدة الصهيونية المسيحية، التي تربط الدين بالقومية، والتي تسخر الاعتقاد الديني المسيحي لتحقيق مكاسب يهودية، ثم التهويد من خلال الحركة البروتستانتية أولا، وبعد ذلك من خلال الحركة التطهيرية PURITANIANS .

كانت الكنيسة الكاثوليكية تتمسك باعتقادها بأن ما يسمى بالأمة اليهودية قد انتهى، وأن الله طرد اليهود من فلسطين إلى بابل عقابا على صلبهم للمسيح، وكانت الكنيسة تعتقد أيضا أن النبوءات الدينية التي تتحدث عن العودة تشير إلى العودة من بابل، وأن هذه العودة قد تمت بالفعل على يد الإمبراطور الفارسي قورش، الفيلسوف الديني لهذا الاعتقاد هو القديس أوغسطين الذي كان يعتبر القدس مدينة العهد الجديد وأن فلسطين هي إرث المسيح للمسيحيين "تذكر أخي أن هذا الاعتقاد من أن فلسطين هي إرث المسيح

للمسيحيين هي الحجة التي قامت الحروب الصليبية بها !!".

الإصلاح الديني تنكر لهذا الاعتقاد، وطرح الإيمان بأن اليهود هم الأمة المفضلة، وأن عودتهم إلى أرض فلسطين تحقق وعد الله، وأن هذه العودة ضرورية لعودة المسيح وقيام مملكته مدة ألف عام (الألفية)، تكريسا

لهذا التحول أصبح العهد القديم المرجع الأعلى لفهم العقيدة المسيحية وبلورتها، وفتح باب تفسير نصوصه أمام الجميع لاستخراج المفاهيم الدينية دون قيود، كذلك اعتبرت اللغة العبرية - باعتبارها اللغة التي أوحى بها الله واللسان المقدس الذي خاطب به شعبه المختار - هي اللغة المعتمدة للدراسة الدينية). ويتابع الدكتور السماك حديثه في موضع آخر من كتابه فيقول:

(تعتقد الصهيونية المسيحية أن ثلاث إشارات يجب أن تسبق عودة المسيح:

الإشارة الأولى هي قيام إسرائيل: وقد قامت إسرائيل في العام ١٩٤٨ م، ولذلك اعتبر الصهيونيون

المسيحيون في الولايات المتحدة هذا الحدث أعظم حدث في التاريخ لأنه جاء مصدقا للنبوءة الدينية.

الإشارة الثانية هي احتلال مدينة القدس: ولقد احتلت إسرائيل القدس في العام ١٩٦٧ م، التي ينظر

الإنجيليون من الصهيونيين المسيحيين على أنها المدينة التي سيمارس المسيح حكم العالم منها بعد قدومه الثاني المنتظر، ولذلك تضغط الكنائس الصهيونية المسيحية في الولايات المتحدة من أجل الاعتراف بالقدس عاصمة موحدة وأبدية لإسرائيل، ولقد تجاوب مجلسا الشيوخ والنواب مع هذه الضغوط في إبريل نيسان ١٩٩٠ م.

الإشارة الثالثة هي إعادة بناء هيكل سليمان على أنقاض المسجد الأقصى: لقد وضعت خريطة

الهيكل الجديد، فيما تتواصل الحفريات تحت المسجد بحجة البحث عن آثار يهودية مطمورة، وفي الوقت نفسه يتم إعداد وتدريب كهان الهيكل في معهد خاص بالقدس، أما الأموال اللازمة فقد جمع معظمها وأودع في حساب خاص باسم مشروع بناء الهيكل.

بعد اكتمال المشروع ستقع هرمجدون ARMAJEDDON التي يظهر المسيح بعدها مباشرة،

وسيرفع إليه بالجسد المؤمنين به ليحكم العالم من القدس مدة ألف عام تقوم بعها القيامة). ويعلق الدكتور السماك في الهامش فيقول: (هرمجدون معركة نووية يعتقد الإنجيليون المتهودون أنها ستقع في سهل مجدون القدس وعكا، وإن التنبؤ بها ورد في أسفار حزقيال ويوحنا ويوشع، وهي تقول: وإن قوات الكفار من المسلمين والملحدين سوف تدمر فيها إلى أن يظهر المسيح فوق أرض المعركة ويرفع بالجسد المؤمنين به ويخلصهم من الدمار، ومن ثم يحكم العالم مدة ألف عام حتى تقوم الساعة). انتهى كلام الدكتور محمد السماك.

وبالعودة إلى تاريخ حركة الإصلاح الديني في مصر نجد أنها مدرسة ظاهرها الإصلاح الديني، وباطنها

الانبهار الفكري والحزبي النفسي بين يدي نهضة الغرب، ظاهرها الدعوة إلى السلفية، وباطنها مخالفة السلف حسا ومعنى، للأسف الشديد !!.

فمن الأمور التي ابتعدت فيها حركة الإصلاح الديني عن السلف تلك الفتاوى الجريئة المخالفة لأصول الإسلام وثوابته فضلا عن مخالفتها لواقع السلف، والتي استعلن بها محمد عبده وهو من رواد حركة الإصلاح الديني في بعض مقالاته وفي أجوبته عن بعض الاستفتاءات ومنها على سبيل المثال ما يلي:

- إباحة قدر محدود من الفائدة الربوية.

- جواز أكل ذبائح النصارى كيفما كان ذبحها.

- فتواه بنحت التماثيل واتخاذها مطلقا.

- فتواه بلبس القبعة دون قيد وفي أي حال.

- ومن ذلك جنوحه عن نهج تفسير النصوص المتفق عليه عند السلف والخلف، والاتجاء إلى تأويل النصوص كيفما اتفق عندما يرى أن المصلحة تقتضي ذلك، واعتمادا على ذلك تأويل الملائكة في معركة بدر بالدعم المعنوي والتوفيق الإلهي، وتأويل الطير الأبايل بجراثيم داء الجدري، وتأويل كثيرا من الخوارق والمعجزات.

وقد شايعه في ذلك صحبه وتلاميذه الذين ساروا في حركتهم الإصلاحية تحت شعار السلفية!، إلا أن جل هذه الانحرافات عن كل من واقع السلف ومنهج الإسلام وحكمه، إنما ظهرت لدى محمد عبده بعد عودته من المنفى إذ كان مستسلما لأكثر ما تقتضي به المدنية الحديثة، وهذا ما فوجئ به الكثير من تلاميذه وفي مقدمتهم رشيد رضا، بعد أن كان قبل ذلك خير منتصر للإسلام ضد البدع والخرافات وبجرقة ظهرت في مقالاته تدل على غيرة إسلامية نادرة.

ومن الأمور التي ابتعدت فيها حركة الإصلاح الديني عن السلف محاولتهم إعادة كتابة السيرة النبوية كتابة معاصرة على هدي العلم الحديث كما يزعمون؛ واقتضى منهم ذلك أمورا عديدة منها تطوير كتابة السيرة النبوية وفهمها وتحليلها، فأخذوا يستبعدون كل ما يخالف المؤلف مما يدخل في باب المعجزات والخوارق، وراحوا يروجون للنبي صفة العبقرية والعظمة والبطولة وما شاكلها، شغلا للقارئ عن صفة النبوة والرسالة والوحي، لأنها أمور لا يقف العلم منها موقف فهم أو قبول كما يزعمون.

ويعد كتاب "حياة محمد" لحسين هيكل أبرز نموذج لهذا الاتجاه في كتابة السيرة النبوية، ويعبر مؤلفه عن اتجاهه هذا بصراحة وفخر عندما يقول: (إنني لم آخذ بما سجلته كتب السيرة والحديث، لأنني فضلت أن أجري في هذا البحث على الطريقة العلمية)! ولذلك فلا خوارق ولا معجزات في حياته عليه الصلاة والسلام، إنما هو القرآن والقرآن فقط.

وكذلك من نماذج هذه الطريقة الحديثة في كتابة السيرة وفهمها تلك المقالات المتتابعة التي نشرها "محمد فريد وجدي" في مجلة (نور الإسلام) تحت عنوان (السيرة المحمدية تحت ضوء العلم والفلسفة)، والتي يقول في بعض منها: (وقد لاحظ قراؤنا أننا حرصنا كل الحرص فيما نكتبه في هذه السيرة، على ألا نسرف في كل ناحية من نواحي الإعجاز، ما دام يمكن تعليلها بالأسباب العادية حتى ولو بشيء من التكلف).

وكذلك تلك الكتابات الكثيرة التي ظهرت لطائفة من المستشرقين عن حياة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم؛ فأخذوا يفسرون الأمور الخارقة للعادة بأمور تتناسب وعقولهم التي تنكر خوارق العادات، فإذا بهم يفسرون الطير الأبايل بداء الجدرى، وفسروا معجزة الإسراء والمعراج -الذي كان بالروح والجسد معا- فسروه بسياحة روحية دون الجسد أو برؤية منامية، وفسروا تأييد الملائكة في معركة بدر بالدعم المعنوي.

وآخر المضحكات العجيبة التي جاءت على هذا الطريق، تفسير النبوة في حياة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإيمان الصحابة به، وعموم الفتح الإسلامي، بأن جميعها لم تكن إلا ثورة يسار ضد يمين، أثارها النوازع الاقتصادية طلبا للرزق وللتوسع، وألهبتها ردود الفعل لدى الفقراء ضد الأغنياء وأصحاب الإقطاع...!

ونسوا أن شيئا مما يسمى بالخوارق والمعجزات لا يمكن أن يتنافى في جوهره مع حقائق العلم وموازينه؛ ذلك لأن هذه الخوارق سميت كذلك لخرقها لما هو مألوف أمام الناس، وما كان للإلف أو العادة أن يكون مقياسا علميا لما هو ممكن وغير ممكن، وهيئات أن يقضي العلم يوما ما بأن كل ما استأنست إليه عين الإنسان مما هو مألوف هو وحده ممكن الوقوع، وأن كل ما استوحشت منه عين الإنسان مما هو غير مألوف غير ممكن الوقوع.

ولقد علم كل باحث ومثقف اليوم بأن أحدث ما انتهت إليه مدارك العلماء في هذا الصدد هو أن العلاقة التي نراها بين الأسباب ومسبباتها ليست إلا علاقة اقتران مطرد.

وقد انقضى الزمن الذي كان بعض العلماء يظنون فيه أن أثر الأسباب الطبيعية في مسبباتها أثر حتمي لا يتخلف ولا يتغير، وانتصر الحق الذي طالما نبه إليه ودافع عنه علماء المسلمين عامة والإمام الغزالي خاصة (من

أن علاقات الأسباب بمسبباتها ليست أكثر من رابطة اقتران مجردة، أما سر هذا الاقتران فهو عند الله وحده الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى).

حاضر هذه المدرسة: في الوقت الراهن، وجدت لهذه المدرسة أنصار وأتباع وأشياء:

٤- مدرسة الانفتاح الكامل على غير المسلمين، والتقليد والإتباع الأعمى والإمعية للغرب:

إن الانفتاح الكامل وغير المدروس على غير المسلمين إنما يوقع المسلم في الحرج والعنت؛ فنرى كثيرا من المسلمين يندفع منفتحا على غير المسلمين بلا روية، ولا فكر، ولا هدى، ولا كتاب منير، وتراه يقيم بينهم فيفتن فيفتن.

فكم من طالب علم مسلم ذهب إلى بلاد الغرب ليتعلم، فإذا به ييهت بالتقدم التقني والعلمي في بلادهم، ويفضل البقاء هناك على العودة لبلاده، ويتبنى طريقة تفكيرهم وحياتهم، ويربي أبناءه كأبنائهم، فيفتن فيفتن.

وكم عاد منهم من أناس وقد تبدلت أحوالهم وأفكارهم، وأخذ بيدي انبهاره وإعجابه بالحضارة والمدنية الغربية ويفضلها على الحضارة الإسلامية.

فعلينا قبل القدوم على مثل هذه الانفتاح أن نتبصر بأقوال العلماء في هذا الأمر، ونأمل بدورنا من السادة العلماء أن يجتمعوا ويبينوا لنا بيانا شافيا ودقيقا لكل الأحكام والقواعد التفصيلية التي تحكم هذا الانفتاح.

وهذا سببه التقليد والإتباع الأعمى والإمعية للغرب عند بعض ضعفة المسلمين من غير المعتزين بالإسلام، ممن تغيرت هويتهم الإسلامية بالتقليد والإتباع الأعمى للغرب، وتأثرهم بتجربة الغرب مع الكنيسة، وإيثارهم الدنيا والمال، وطغيان المادة على حياتهم، ما حدا بهم إلى إتباع الغرب شيئا شبرا ذراعا ذراعا، ولو دخلوا جحر ضب لفعلوه، وذلك مصداق قول الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم، فيما رواه البخاري ومسلم، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: **(لتتبعن ممن من كان قبلكم، ذراعا ذراعا، شبرا شبرا، ولود خلوا جحر ضب لدخلتموه، قالوا: يا رسول الله اليهود والنصارى؟ قال: فمن)،** وللأسف فإن كثيرا من المسلمين قد تأثروا بما عليه الغرب، فبدؤوا يقلدوهم في كثير من نواحي الحياة على مستوى الأفراد والحكومات، دون التنبه لغدرهم ومكرهم.

ويكفينا عبرة من سيرة السلف الصالح فتنة الصحابي "عياش بن أبي ربيعة"، والصحابي "هشام بن العاص بن وائل السهمي"، اللذين تواعدا على الهجرة إلى المدينة المنورة مع سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ولكن حبس هشام عن الموعد وفتن ببقائه بين الكفار فافتن ولم يهاجر (تذكر أخي أن الهجرة من مكة إلى المدينة كانت واجبة إذ ذاك).

بينما هاجر عياش مع سيدنا عمر بن الخطاب، ولما قدموا المدينة خرج أبو جهل بن هشام وأخوه الحارث إلى عياش - وكان ابن عمهما وأخاهما لأمهما- وكان رسول الله لا يزال في مكة، فكلم أبو جهل عياش وقال: إن أمك نذرت أن لا يمس رأسها مشط حتى تراك، ولا تستظل عن الشمس حتى تراك، فرق لها.

فقال له عمر رضي الله عنه: والله ما يريد القوم إلا ليفتنوك عن دينك فاحذرهم، فلم يستجب له وقال: أير قسم أمي، ولي هناك مال فأخذه، فقال له عمر: والله إنك لتعلم أي لمن أكثر قريش مالا، فلك نصف مالي ولا تذهب معهما، ولكنه أبي، فقال له سيدنا عمر: أما إذ قد فعلت ما فعلت فخذ ناقتي هذه فإنها ناقة نجبية ذلول فالزم ظهرها فإن رابك من القوم ريب فانج عليها.

فخرج عليها معهما، حتى إذا كانوا ببعض الطريق قال أبو جهل: يا أخي والله لقد استغلظ بعيري هذا أفلا تعقبي على ناقتك هذه؟ قال: بلى، فأناخ عياش وأناخا ليتحول عليها، فلما استوى بالأرض عدوا عليه فأوثقاه وربطاه، ثم دخلا به مكة وفتناه فافتن.

قال ابن اسحق: قال عمر: فكنا نقول: ما الله بقابل ممن افتن صرفا، ولا عدلا، ولا توبة، قوم عرفوا الله ثم رجعوا إلى الكفر لبلاء أصابهم.

وكانوا يقولون ذلك لأنفسهم (أي من افتن مثل عياش وهشام رضي الله عنهما)، فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم المدينة أنزل الله تعالى فيهم وفي قولنا وقولهم لأنفسهم: **(قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾)** (الزمر: ٥٣ - ٥٥).

فكتبها عمر بيده في صحيفة وبعث بها إلى هشام بن العاص، قال هشام: فلما أتني جعلت أقرؤها بذي طوى أصعد فيها وأصوب ولا أفهمها، حتى قلت: اللهم فهمنيها، قال: فألقى الله في قلبي أنها إنما أنزلت فينا، وفيما كنا نقول في أنفسنا، ويقال فينا، قال: فرجعت إلى بعيري فركبت عليه ثم لحقت برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بالمدينة.

وأما ما ذكره ابن هشام قال: حدثني من أثق به: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وهو بالمدينة: (من لي بعياش بن أبي ربيعة وهشام بن العاص؟)، فقال "الوليد بن الوليد بن المغيرة" (أخوسيدنا خالد بن الوليد رضي الله عنهما): أنا لك بهما يا رسول الله، فخرج إلى مكة، فلقي امرأة تحمل طعاما فقال لها: أين تريد يا أمة الله؟ قالت: أريد هذين المحبوسين -تعنيهما- فتبعها حتى عرف موضعهما، وكانا محبوسين في بيت لا سقف له، فلما أمسى تسور عليهما، ثم أخذ مروة (قطعة من الحجر) فوضعها تحت قيديهما ثم ضربهما بسيفه فقطعهما، فكان يقال لسيفه (ذوالمروة) لذلك، ثم حملهما على بعيره وساق بهما فعرثر فدميت إصبعه فقال:

وفي سبيل الله ما لاقيت

هل أنت إلا إصبع دميت

ثم قدم بهما على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة.

- مدرسة الانغلاق التام على النفس: وأصحاب هذه المدرسة على النقيض تماما ممن يفتح على غيره بلا ضوابط ولا قيود، ومن المعلوم أن (حب التناهي غلط وخير الأمور الوسط)، وأن (كلا طرفي قصد الأمور ذميم)، فهؤلاء لديهم نوع من النفور أو الخوف من الانفتاح على الآخر، فلا يستفيدون من غرب أو شرق، ويتقوقعون على أنفسهم مخافة التأثير بالآخرين والذوبان بهم.

- مدرسة الوسطية (الانفتاح على الآخرين مع عدم الذوبان بهم): وهي لا تدعو إلى انفتاح كامل، وعلاقة بيضاء من غير قيود ولا ضوابط، ولا تقول أن الآخر أكثر انفتاحا منا، ولكن تقول: إن الانغلاق التام على النفس، والنفرة الكاملة مما لدى الآخرين، ليس في خدمة الخطاب الديني، فنحن أهل الدعوة والرسالة التي يجب علينا تبليغها غيرنا ولا يكون هذا بالانغلاق.

بالإضافة إلى أن الحكمة ضالة المؤمن أين وجدها أخذ بها، فلا مانع من أن نستفيد من غيرنا - وإن لم يكونوا من المسلمين - ما دام ذلك لا يخالف حكما من أحكام ديننا الحنيف.

٤- مدرسة التصوف بلا علم شرعي:

وأصحاب هذه المدرسة يقولون إن القلب في الإنسان هو الأساس، وإن إصلاح القلب وتهذيب الأخلاق هو أهم ما جاء به الشرع، لذلك يجب التركيز على التصوف باعتباره العلم الذي يهتم بالقلب وأحواله والأخلاق وتهذيبها، وهذه مقدمات صحيحة متفق عليها، ولكنها للأسف لا تعني أنه لا ضير بالإنسان إذا تصوف أن يخالف الشرع، أو أن يخرج من ربة الشرع إذا اهتم بالقلب وإصلاحه، فهذا ليس من العقل ولا المنطق ولا الدين.

ولكن في الواقع هناك من يتصوف من دون أن يكون عنده علم شرعي، وقد يفعل بعضهم أمورا ويمارس

ممارسات مخالفة للشرع، نذكر منها أمثلة لا على سبيل الحصر:

- هناك من يقيم حلقات ذكر لله تعالى، ولكن قد يوجد فيها أمور غير شرعية، مثل اختلاط الرجال بالنساء الحاسرات الشعر والمتكشفات واللواتي يمسكن بأيدي الرجال أثناء الذكر، وهذا مشاهد عند من لم يعرف حقيقة التصوف.

- وكذلك من يدعي التصوف ولكنه يقول بعقيدة (الاتحاد) و(وحدة الوجود)، أو يقول بعقيدة الحلول (حلول الخالق في المخلوق).

وهؤلاء يسيئون للتصوف وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا، وبالتالي لا يمثلون مدرسة الوسطية، ولا يمثلون التصوف الحقيقي الذي ندعو إليه، والذي هو الركن الثالث من أركان منهج أهل السنة والجماعة.

وقد ظهرت مدرسة مقابلة لهذه المدرسة (التصوف دون علم)، هربت من تطرف هؤلاء، فوقعت في تطرف آخر (العلم بلا التصوف)، وهي:

- مدرسة العلم بلا تصوف: فإنهم المدرسة المقابلة للمدرسة السابقة، وهؤلاء أيضا لا يمثلون مدرسة الوسطية، وهم لا يمثلون العلم الحقيقي الوارد عن رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم؛ فهناك منهم من يحارب التصوف زعما منه أن التصوف كله خرافات وأوهام وأخطاء، وهذا التعميم مخالف للعلم الذي ينتسبون إليه.

ومن جهة أخرى فإنه لا يحكم على الشيء من خلال ممارسات خاطئة لبعض من يدعون الانتساب إليه؛ وإلا لحكم على الإسلام نفسه بأمور لا تليق به، وهو منها براء، لأنه يوجد من المسلمين من يمارس ممارسات خاطئة لم يأمر بها الإسلام فلا نحارب الإسلام لأخطاء بعض أفراد.

وكذلك لا ينكر الشيء ويرفض كليا خطأ من ينتسب إليه؛ فإن الخطأ وارد من الجميع إلا من المعصوم صلى الله عليه وسلم، وبالتالي إذا ظهر الخطأ من أناس ينتسبون للتصوف، فليس من العلم ولا الشرع ولا الدين أن يلجئنا هذا الأمر إلى إسقاط التصوف كليا وإلغائه، ومعلومة القاعدة (التعسف في استعمال الحق لا يعني إسقاطه)، بل ننكر المنكر ونأمر بالمعروف ولا نتجاوز وتتعدى الحدود.

وكذلك هناك من ينكر أمورا على أهل التصوف مع أن لهم أدلتهم المعتبرة شرعا فيها، ولكن كما قيل: (من كثر علمه قل إنكاره ومن قل علمه كثر إنكاره)، والأمر إن كان خلافا واختلاف فيه العلماء من الصدر الأول، فلا مسوغ للإنكار في هذه الحالة، فمعلومة القاعدة القائلة: (إنما ينكر الأمر المتفق على إنكاره).

- مدرسة الوسطية (الجمع بين العلم والتصوف): وهو منهج أهل السنة والجماعة، الوارد عن الإمام مالك إمام دار الهجرة، والذي أورده الملا علي القاري في كتابه عين العلم وزين الحلم:

(من تصوف ولم يتفقه فقد تزندق، ومن تفقه ولم يتصوف فقد تفسق، ومن جمع بينهما فقد تحقق)، لأن من يتصوف دون علم شرعي قد يعبد الله بشكل مخالف للشرع وعلى غير الكتاب والسنة وهذه هي الزندقة، وإن من يتفقه ولا يتصوف قد يصاب بأمراض القلب من عجب بعلمه، ومن كبر، وغيره... وهذا هو التفسق.

وهذا النهج أعني (الجمع بين العلم والتصوف) هو منهج أهل السنة والجماعة الوارد عن الشيخ الإمام إبراهيم اللقاني في جوهرة التوحيد:

ومالك وسائر الأئمة كذا أبو القاسم هداة الأمة.

فواجب تقليد حبر منهم كذا حكى القوم بلفظ يفهم.

وقد ورد عن السيد أحمد الرفاعي رضي الله عنه وهو أحد أئمة التصوف ومؤسس الطريقة الرفاعية قوله: (كل طريقة خالفت الشريعة فهي زندقة)، وهو القائل: (لا أخشى على هذه الطريقة من أعدائها إنما أخشى عليها من أذعائها)، وكما هو مقرر ومعروف (ما اتخذ الله وليا جاهلا ولو اتخذ لعلمه).

٥- مدرسة إلغاء التسميات والخصوصيات:

وهي مدرسة تدعو لإلغاء التسميات المختلفة والإبقاء على مسمى واحد ألا وهو (أنا مسلم)، وهي ظهرت مقابل مدرسة الجامدين الذين يستخدمون المسميات للتفريق والاختلال والنزاعات، فهناك أفراد من هذه المدرسة ممن يقول: (لماذا هذه التسميات المختلفة؟ كفانا شتاتا وتفرقة!! لماذا نقول: (سني وشيعي) و(صوفي ووهابي) و(حنفي وشافعي) و(أشعري وماتريدي)؟ دعونا منها ولنقل مسلم وحسب!)، ونجد بعض أفراد منها يقولون (أنا شيعي في محبة أهل البيت، سلفي في التمسك بالكتاب والسنة، صوفي في محبة النبي الكريم، معتزلي في أعمال العقل،...)، فهي مدرسة أرادت الهروب من تطرف استخدام التسميات للتفريق والنزاع والصراع، ولكنها وقعت بتطرف آخر من حيث لا تشعر وهو تطرف إلغاء التسميات والخصوصيات والشخصيات والهوية.

وفي جوابنا على هذا المدرسة نقول: نحن أمة الوسطية الجامعة لكل خصال الخير، مدرسة التسمية للتعريف والخصوصية لا مدرسة الإلغاء ولا التفريق، فنحن نستخدم التسمية كما وضعت من أجله: (إن التسمية في الأصل وضعت للتعريف لا للتفريق)؛ فإن الله تعالى لما خلق سيدنا آدم عليه الصلاة والسلام علمه وعرفه الأسماء كلها من إنس وجان وحيوانات ونباتات وجبال وأشجار ولغات وغير ذلك كما قال تعالى: **(وعلم آدم الأسماء كلها.....)** (البقرة ٣١ - ٣٣).

فإذا استخدمت التسمية لما وضعت لأجله فلا ضير في التسميات بل تكون مطلوبة ومندوبة: ويوجد مجموعة من الأدلة العقلية والنقلية على ذلك، منها الأدلة التالية:

١- لأنه لا بد ولا مناص من استخدام المسميات؛ لأن المسميات إنما تحافظ على الخصوصيات والهوية والشخصية، ولا تجد عاقلا يلغي الخصوصيات والهوية والشخصية.

٢- ومن ناحية ثانية فإنه بالمحافظة على التسميات ننسب الخطأ لأهله وننسب الصواب لأهله فلا نترك الحبل على غاربه لمن أراد أن يصطاد في الماء العكر، فبعض الأفراد ترتكب أفعالا مشينة وتنسبها للإسلام أو لغيرها وهو منها براء، والبعض الآخر ينسب إليه ما يقوم به غيره من أفعال حميدة ويجب أن يحمى بما لم يفعل فلا تحسبه بمفازة من العذاب .

٣- والسبب الثالث أن رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم نفسه قد استخدم التسميات المختلفة؛ كما فعل في غزوة حنين، عندما باغت الكفار المسلمين في بادئ الأمر ففترقوا، فنادى رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم عمه العباس رضي الله عنه، وكان جهوري الصوت، قائلاً: **(ناد أصحاب السمرة)**، فنادى: يا أصحاب السمرة (أي أصحاب الشجرة الذين بايعوا بيعة الرضوان)، وكان النداء: "يا معشر الأنصار"، فالملاحظ أن الرسول هنا لم يطلب من عمه أن ينادي "يا أيها المسلمون"، بل استخدم مسميات خاصة أراد منها استنفار المهمم، مما يدل على الجواز، فقد ورد في السيرة النبوية عن غزوة حنين ما يلي: (ووصل المسلمون إلى وادي حنين، فانحدروا فيه في غيش الصبح، فما راعهم إلا الكتائب خرجت إليهم من مضائق الوادي وشعبه، وقد حملوا حملة واحدة على المسلمين، فانكشفت الخيول، وانشمر الناس راجعين لا يلوي أحد منهم على الآخر، وانحاز رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات اليمين، ثم نادى في الناس: **(إي عباد الله، أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب)**).

وروى مسلم عن العباس رضي الله عنه قال: شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين فلزمته أنا وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ولم نفارقه، وهو على بغلة له بيضاء، فلما التقى المسلمون والكفار ولى المسلمون مدبرين، فطفق رسول الله صلى الله عليه وسلم يركض بغلته قبل الكفار، قال عباس: وأنا أخذ بلجام بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم أكفها، إرادة أن لا تسرع، وأبو سفيان أخذ بركاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال عليه الصلاة والسلام: **(ناد أصحاب السمرة)**، وكان رجلاً صبيئاً، فقلت بأعلى صوتي: يا أصحاب السمرة، قال: فو الله لكأن عطفتهم حين سمعوا صوتي عطفة البقر على أولادها، فقالوا: يا لبيك، يا لبيك، وأقبلوا يقتتلون مع الكفار، وكان النداء: **"يا للأنصار"**، وأشرف رسول الله صلى الله عليه وسلم ينظر إلى قتالهم قائلاً: **(الآن حمى الوطيس)**، ثم أخذ حصيات من الأرض فرمى بهن وجوه الكفار، ثم قال: **(انهزموا ورب محمد)**، وقذف الله في قلوب المشركين الرعب، فانهمزوا لا يلوي واحد منهم على أحد، واتبع المسلمون أفضاءهم يقتلون ويأسرون، فما رجع الناس إلا والأسرى مجندلة بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم).

٤- بل إن الحق سبحانه وتعالى في القرآن الكريم قد قسم المسلمين وسماهم بأسماء مختلفة (المهاجرين - الأنصار - التابعين لهم)، فقد ذكرهم في معرض المدح كما في سورة التوبة، قال عز من قائل: **{وَالسَّابِقُونَ** **الْأُولُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ}** (التوبة ١٠٠)، وكذلك كقوله تعالى في سورة الحشر: **(لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ}** {٨} **وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُجِبُونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي**

صُدُّورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أُنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ { ٩ } وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ { ١٠ } (الحشر ٨-١٠).

وقد قسم سبحانه وتعالى ورثة الكتاب ثلاثة أقسام، وسماهم بأسماء مختلفة، ومع ذلك جعلهم جميعاً في دائرة الاصطفاء، وجعلهم جميعاً ورثة كتابه، قال عز من قائل في سورة فاطر: **(ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا.....)** (فاطر ٣٢).

وقد خلق الله تعالى الناس مختلفين حساً ومعنى، اسماً ورسماً، ذكراً وأنثى، أفراداً وجماعات، قبائل وشعوباً كما في قوله تعالى في سورة الحجرات: **(يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير)** (الحجرات ١٣).

ولكن إذا استخدمت التسمية في التفريق فعندها علينا تركها فإنها منتنة؛ كما فعل الرسول صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم في حادثتين اثنتين هما:

- **الحادثة الأولى:** في غزوة بني المصطلق (المريسيع)، فقد حدث خلاف على الماء بين عبيد بن جراح وأحداهما للمهاجرين وكان غلاماً لعمر بن الخطاب رضي الله عنه اسمه جهجاه بن سعيد الغفاري، والآخر للأَنْصَارِ سنان بن وبر الجهني، فصاح الأول: يا معشر المهاجرين، وصاح الثاني: يا معشر الأنصار، فحدثت الفتنة، فاجتمع الفريقان، وكادوا يقتتلون، فذهب إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأزال ما بينهما من شحنة، وأطفاً تلك الفتنة بقوله: **(أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم؟، دعوها فإنها منتنة).**

فسمع بالأمر عبد الله بن أبي بن سلول رأس النفاق، فغضب، وأراد أن يوقظ الفتنة ويذكي أوارها ولهبها، فقال للرهط ممن معه: أو فعلوها؟، قد نافرنا وكاثرونا في ديارنا، والله ما مثلنا وجلابيب قريش (يقصد المسلمين) إلا كما قالوا: "سمن كلبك يأكلك"، أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل.

وكان ممن سمع كلامه زيد بن أرقم، فمشى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبره الأمر، وكان عنده عمر رضي الله عنه، فقال يا رسول الله مر به عباد بن بشر فليقتله، فقال عليه الصلاة والسلام: **(فكيف يا عمر إذا تحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه؟ لا ولكن أذن بالرحيل)**، وذلك في ساعة لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يرتحل فيها، فارتحل الناس.

ومشى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس يومهم ذلك حتى أمسى، وليلتهم حتى أصبح، وصدر يومهم حتى آذتهم الشمس، ثم نزل بالناس فلم يلبثوا أن وجدوا مس الأرض فوقعوا نياماً، وإنما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك ليشغل الناس عن الحديث الذي كان بالأمس من حديث عبد الله بن أبي بن

سلول، ونزلت سورة المنافقين تصديقاً لقول زيد بن أرقم عن عبد الله بن أبي، وفيها يقول الله تعالى: **(يقولون لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجنّ الأعز منها الأذل والله العزة لرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون).**

وجاء عبد الله بن عبد الله بن أبي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم - بعد أن رجعوا إلى المدينة - فقال: إنه بلغني أنك تريد قتل أبي فيما بلغك عنه، فإن كنت لا بد فاعلاً، فمربي فأنا أحمل إليك رأسه، فو الله لقد علمت الخزرج ما كان لها من رجل أبر بوالده مني وإني أخشى أن تأمر غيري فيقتله فلا تدعني نفسي أنظر إلى قاتل عبد الله بن أبي يمشي في الناس، فأقتله فأقتل رجلاً مؤمناً بكافر فأدخل النار، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **(بل تترفق به ونحسن صحبته ما بقي معنا).**

وجعل بعد ذلك إذا حدث عبد الله بن أبي بعد ذلك حديثاً كان قومه هم الذين يعاتبونه ويعنفونه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر بن الخطاب: **(كيف ترى يا عمر؟ أما والله لو قتلته يوم قلت لي اقتله، لأرعدت له أنف، لو أمرتها اليوم بقتله لقتلته)،** فقال عمر: قد والله علمت لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أعظم بركة من أمري.

- **الحادثة الثانية:** يوجد حادثة أخرى، وذلك لما مر شماس بن قيس وكان يهودياً عظيماً الكفر وشديد الطعن على المسلمين، على نفر من الأوس والخزرج في مجلس يتحدثون، فغاضبه ما رأى من إفتهم وصلاح ذات بينهم في الإسلام، بعد الذي كان بينهم في الجاهلية من العداوات والإحن، فقال قد اجتمع ملاً بني قبيلة (الأوس والخزرج) بهذه البلاد، لا والله ما لنا إذا اجتمعوا بها من قرار، فأمر شاباً من اليهود كان معه فذكرهم بيوم بعث (وهو آخر يوم جرت فيه حرب بين الأوس والخزرج، وكانت الغلبة فيها للأوس، ثم جاءهم الله بالإسلام، فألف بين قلوبهم) وما كان فيه، وما تقاولوا فيه من الأشعار، ففعل، فتكلم القوم وتفاخروا وتواثبوا، حتى قال أحدهم للآخر: إن شئتم رددتها أي - الحرب - الآن جذعة، وغضب الفريقان، وتنادوا: السلاح السلاح موعدكم الحرة.

فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم، فذهب إليهم في جماعة من المهاجرين حتى جاءهم، فقال: **(يا معشر المسلمين، أبدوى الجاهلية وأنا بين أظهركم، بعد إذ أكرمكم الله بالإسلام، وقطع به عنكم أمر الجاهلية وألف بينكم، ترجعون إلى ما كنتم عليه كفاراً؟! الله الله).**

فأفاق القوم من غضبهم، وعلموا أنها نزغة شيطانية وكيد من عدوهم، فألقوا السلاح، وبكوا، وعانق بعضهم بعضاً، ثم انصرفوا مع رسول الله سامعين مطيعين، وفي هذا نزل قول الله تعالى: **(يا أيها الذين آمنوا إن**

تطيعوا فريقاً من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين - وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله ومن يعتصم بالله فقد هدي إلى صراط مستقيم - يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون - واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمت الله عليكم إذ كنتم أعداء

فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون) (آل عمران ١٠٠ - ١٠٣).

فبالنتيجة: نحن من مدرسة الوسطية الجامعة لكل حصال الخير، المدرسة التي تحافظ على التسمية وتستخدمها للتعريف، أي لا تهمش أو تلغي اسما أو هوية للآخر ولا تستخدم هذه التسميات للتفريق، المدرسة التي تحمل شعار: (لا إلغاء ولا تفريق، ولكن تسمية وتعريف).

٦- مدرسة إعمال العقل أكثر من النقل (المعتزلة): وهي فرقة من الفرق الإسلامية التي ظهرت قديما، ولا تزال لها أنصارها حتى الآن، وسبب التسمية بذلك أن واصل بن عطاء لما اعتزل حلقة الحسن البصري زعم أن الفاسق من هذه الأمة لا مؤمن ولا كافر فقال الحسن اعتزلنا واصل، وقيل بل إن أصل المعتزلة هم من كان من شيعة سيدنا علي فلما تخلى الحسن بن علي رضي الله عنه عن الخلافة لسيدنا معاوية اعتزلوا الناس وانقطعوا لمساجدهم وعبادتهم وجاؤوا بأفكارهم المعروفة.

أصول هذه المدرسة: لها أصول خمسة، وهي القاسم المشترك الذي لا بد منه فيمن يسمى معتزليا:

- التوحيد: ويضم ما يلي: نفي صفات المعاني عن الله تعالى، نفي رؤية الله تعالى يوم القيامة، قولهم كلام الله أي القرآن مخلوق.
- العدل: ويضم ما يلي: العبد يخلق أفعال نفسه، تلازم الأمر والإرادة وتلازم النهي والكرهية، وجوب الصلاح من الله أما وجوب الأصلح فيه خلاف عندهم.
- الوعد والوعيد: يقولون كل من الوعد والوعيد واقع ونازل لا محالة، (أهل السنة يقولون أن الوعد لا يخلف من الله أما الوعيد فعائد إلى مشيئة الله).
- المنزلة بين المنزلتين: يقولون إن الفاسق (أصحاب الذنوب) من هذه الأمة لا مؤمن ولا كافر فهو بمنزلة بين منزلتي الكفر والإيمان في هذه الدنيا، مع خلود صاحب الكبيرة في النار يوم القيامة.
- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: واجب على جميع المؤمنين وليس على فئة فقط، (أهل السنة عندهم هو واجب كفائي).

قادة الاعتزال: وهم من أخذت عنهم أفكار الاعتزال (أبو علي الجبائي)، ثم (واصل بن عطاء، عمرو بن عبيد، بشر بن سعيد)، ثم (يشمة بن المعتمر، أبو هذيل العلاف)، ثم (أبو بكر بن كيسان الأصم، إبراهيم النظام).

وبعد ذلك اختلفت وتشعبت الأفكار فافتقرت المعتزلة إلى أكثر من عشرين فرقة يكفر بعضها البعض.

منهج المعتزلة في البحث والاستدلال:

تغلّبت على المعتزلة النزعة العقلية، فكان اعتمادهم على المنقول من الأحاديث الصحيحة ضئيلاً جداً، بل كانوا يرون أن مقياس الحق قبول العقول، فكل ما قبله العقل فهو الحق الذي يجب المصير إليه والتمسك به، وكل ما لم يقبله العقل فهو الباطل الذي يتحتم رفضه.

أما أهل السنة يقولون: إن العقول تتخالف فيما تزعم أنها سائرة للوصول إليه من الحق الذي لا ينبغي الاختلاف عليه، لذلك كان لا بد للوصول إلى ما يقضي به المعقول من الاعتماد على صحيح المنقول. وأسباب ذلك ما يلي:

- لأن العقل الكامل الصحيح الصافي عن شوائب الأهواء ورغائب النفس إنما يدل على الحق، ولكن عقول أفراد الناس كانت ولا تزال مشوبة بعكر الأهواء والرغائب، وقلما استطاع إنسان أن يتحرر من الوقوع تحت تأثيرهما، وبالتالي لا يمكن لأي إنسان أن يدرك الحق بعقله.

- وكذلك هناك من الحقائق الثابتة ما لا يستطيع ولا سبيل للعقل وحده (وإن صفا من الشوائب) إلى دركها والوصول إليها، لأن للعقل الإنساني حداً لا يستطيع أن يتجاوزه، فإن أكره على تجاوز ذلك الحد خاض على غير بينة واضطرب في مجهلة.

إذن بالرغم من أن مدار النصوص والنقول قائم على ما يجزم به العقل ويقضي به، ولكن النصوص الصحيحة تهدي إلى حكم العقل الصحيح، وليس العكس.

حاضر هذه المدرسة: هناك فئة جديدة في الوقت الراهن، وهي النسخة المعدلة عن مدرسة الاعتزال، وهؤلاء هم أتباع (المدرسة العقلانية أو المعطلة الجدد)، وهي مجموعة من المسلمين في هذه الآونة ممن يجعل من عقله مقياساً ومعياراً للحق، فما وافق عقله وفهمه (القاصر الجهول) فهو حق، وما خالفه فهو باطل ولا يمكن أن يكون من الشرع، فهو يحاول إعمال عقله وتحكيمه أكثر من النقل، وبالتالي قد عطلوا كثيراً من النصوص الشرعية.

والقرآن الكريم جاء على خلاف ذلك قال تعالى: **(إن الحكم إلا لله)**، فالله تعالى هو الخالق وهو الأمر والحاكم لا العقل؛ فإن العقل البشري قاصر ويعتريه النقص، بينما الله تعالى منزّه عن جميع صفات النقصان.

والقاعدة الفقهية تقول: **(لا اجتهاد في مورد النص)**؛ وإلا لكان المسح على أسفل الخف أولى من المسح على أعلاه لأن أسفل الخف هو الذي يتعرض للأوساخ لا أعلاه، ومع ذلك فإن المسح إنما يكون على أعلى الخف كما جاء وورد عنه صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم.

فترى كثيراً من الناس ممن يتبجح بعقله؛ فإذا سمع بأمر من أمور الشرع ولم يستوعبه عقله فإذا به يبادر إلى رده وإنكاره - وإن وردت به النصوص الشرعية الصحيحة - فهذا فكر مخالف للصواب.

ومن المعلوم أن الإسلام جاء بالعلم وحض عليه وجعله فريضة على كل مسلم - بل هودين العلم والعقل - وإن أول كلمة نزلت من القرآن الكريم قوله تعالى (**اقرأ...**)، فالقراءة هي وقود العقل، وهي مفتاح العلم، ومعلوم أنه لا علم بلا عقل، ولكن أن يستخدم العقل ليخالف النصوص والشرع: لا !.

أما العقل الذي نفهم به النصوص، ونفهم به كيفية استنباط الأحكام من النصوص، والعقل الذي نعمله - حيث لا نص هناك - فنقيس به الشبيه على الشبيه والمثيل على المثيل فهذا الذي يقره الشرع ويطلبه. فهذه المدرسة هي من مدارس التفريط والتقصير والحسران (مدرسة المتسيبين أي أدعياء التجديد أو معطلة النصوص) لا يريدون أن يتقيدوا بشيء، ولا أن تضبطهم ضوابط، ولا أن تحكمهم أصول وقواعد، زاعمين أنهم إنما يحكمون روح الدين ومقاصد الشرع، وهم أبعد الناس عن روح الدين ومقاصد الشرع. ولقد تجلت مدرسة العقلانية أو المعتزلة الجدد بأكثر من فئة هي:

- (أشباه المتعلمين، أو أرباع وأنصاف المتعلمين، أو من تعلم دون معلم ودون سند ونسب علمي بل تلقى علمه الشرعي من الورق وأمثال الورق كالانترنت وغيره)، أو من نصب نفسه داعية للإسلام من دون علم شرعي): أما هؤلاء فإنهم يخطون خبط عشواء في دين الله، ويقولون في دين الله بأرائهم - وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا - مخالفين للمنهج العلمي الذي سار عليه العلماء والفقهاء.

فترى الكثير من هؤلاء من يصدر أحكاما فقهية مخالفة للنصوص وللأصول والثوابت المرعية - ويسمي هذا رؤى معاصرة، وانفتاحا، وفهما في دين الله لم يستطع العلماء قبله أن يصلوا إليه - وهو في حقيقة الأمر سوء فهم لروح التشريع الإسلامي، وعدم معرفة بالأصول والثوابت والقواعد الأساسية فيه، وإذا ترك الحبل لهؤلاء وأضربهم على غاربه فإنهم سيفعلون ما لم يستطع فعله أعداء الدين.

فجوابنا على هؤلاء وأولئك أن نقول لهم: دعوا الأمر لأهله من العلماء والمتخصصين في علوم الشريعة،

ودعوا ذلك لمجامع الفقه الإسلامي وأهلها، أم صار شرع الله كالأمر يترع فيه من شاء وكيف شاء؟.

- مدرسة الأخذ بالقرآن دون السنة النبوية (القرآنيين أو الفرماوية): وهي مدرسة نشأت في وقتنا الراهن تزعم أنها تؤمن بالقرآن الكريم لذلك يدعون أنفسهم بالقرآنيين (والقرآن براء منهم)، ولكنها تشكك بالسنة النبوية المطهرة ويطعنون في نسبتها إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم، فهم يعرضون نصوص الشرع (الحديث الشريف) على عقولهم فإن وافقت هواهم وإلا ردوها وكذبوها وإن تواترت صحة، فهم يردون الأحاديث بمجرد الهوى، والجهل، وحب الظهور.

وذلك من معجزاته أرواحنا له الفداء فإنه قد ذكر هذه الفرقة فيما روى الإمام الترمذي عن المقداد بن معد يكرب رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم: (**ألا هل عسى رجل، يبلغه**

الحديث عني وهو متكئ على أريكته، فيقول بيننا وبينكم كتاب الله، فما وجدنا فيه حلالاً استحللناه، وما وجدنا فيه حراماً حرمانه، وإن ما حرم رسول الله كما حرم الله).

- مدرسة الدراسات والقراءات والرؤى المعاصرة: وأصحاب هذه المدرسة (المتسيبون، أدعياء التجديد وبالْحَقِيقَةُ هُم أَدْعِيَاءُ التَّبْدِيدِ، معطلة النصوص)، يعطلون النصوص الشرعية بدعوى أن الإسلام له مقاصد وعلل وحكم، وهم للأسف مأجورون من قبل أعداء الأمة، وهؤلاء يدعون إلى التجديد في الخطاب الديني، والتخلص من التقاليد الإسلامية القديمة، ولكن أي تجديد؟ إنه التجديد الذي لا يحافظ على الثوابت والأصول، والذي يتبع الأهواء والشهوات لا العلم، والذي يرضي أعداء الإسلام الذين أرادوا تقويضه من الداخل بعد أن يئسوا من أن يقوضوه من الخارج.

وقد كثر هؤلاء في الآونة الأخيرة، والسبب في ذلك أن أعداء الدين لن يهدأ لهم بال حتى يوصلوا الهدم والأذى له، وهيهات لهم ذلك فإن الله تعالى قد تكفل بحفظ دينه قال عز من قائل: **{ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ }** (الحجر ٩).

فهؤلاء يدعون إلى تجديد الخطاب الديني، وتخليصه مما يدعونه ويروجون له "بالتقاليد الإسلامية"، فهم يطلقون كلمة التقاليد الإسلامية على مختلف ما يتضمنه الإسلام من عبادات وأحكام تشريعية وأخلاقية. فتراهم مثلاً يقولون: لا بأس للمرأة المسلمة - إن حققت العفاف الاجتماعي - من أن تخلع جلبابها وحجابها، فعطلوا بذلك نصوص الحجاب والجلباب، بدعوى محاربة التقاليد البالية وأن الإسلام دين يعتبر المقاصد الشرعية.

وإذا أمعنت النظر والتفكير تبين لك وأدركت مدى خطورة الخطيئة التي يقع فيها هؤلاء، إذ من شأن هذه التسمية الظالمة وترويجها أن توحى إلى الأذهان، أن قيمة السلوك والخلق الإسلامي ليست بسبب كونه مبدأ إلهياً يكمن فيه سر سعادة البشر كما هو الحق، وإنما بسبب أن كلا من النظام والخلق الإسلامي إنما هو عادات قديمة موروثه من الآباء والأجداد، ولا ريب أن النتيجة القطعية لهذا الإيحاء أن يضيق أكثر الناس ذرعاً بهذا الميراث القديم الذي يراد فرضه على المجتمع في عصر كل ما فيه متطور ومتقدم وجديد، والواقع أن إطلاق هذا الشعار على الأحكام الإسلامية، ليس في مصدره خطيئة عفوية، وإنما هو حلقة في سلسلة حرب الإسلام بالشعارات الباطلة المدسوسة.

فالغرض الأول من ترويج كلمة (تقاليد إسلامية)، هو أن يؤتى بمعظم نظم الإسلام وأحكامه، ويسدل فوقها شعار (التقاليد) حتى إذا مر على ذلك زمن، وارتبط معنى التقاليد بنظم الإسلام وأحكامه في أذهان الناس، ونسوا أن هذه النظم إنما هي في حقيقتها مبادئ قائمة على أساس ما يقتضيه العقل والبحث السليم، أصبح من السهل على أعداء الإسلام أن يحاربوه من النقطة التي تنفذ إليها حرايمهم وسهامهم، إذ لا ريب أن

المسلمين إذا استفاقوا ليجدوا معظم مبادئ الإسلام وأحكامه، كشؤون الزواج، وشؤون الطلاق، وحجاب المرأة وصيانتها، وعامة قضايا السلوك والأخلاق، قد أسبل عليها رداء التقاليد، فإن من الطبيعي أن يجدوا بعد ذلك من يدعو إلى نبذ التقاليد والخروج عن إسارها وكسر قيودها، خصوصاً في هذا العصر الذي أصبحت السيادة فيه لحرية الرأي والتفكير.

ولكن الحقيقة أن الإسلام لا تقاليد فيه، إنه الدين الذي جاء ليخلص العقل من براثن التقاليد، كما هو الشأن في أولى خطوات الدعوة التي قام بها رسول الله صلى الله عليه وسلم.

إن جميع ما أتى به الإسلام من نظم وتشريعات، إنما هي مبادئ والمبدأ هو ما يقوم على أساس من التفكير والعقل، ويستهدف الوصول إلى مقصد معين، وإذا كانت المبادئ البشرية قد تخطئ الصواب أحياناً لشذوذ في أفكار أصحابها، فإن مبادئ الإسلام لا تخطئ الصواب أبداً لأن الذي شرعها هو خالق العقول والأفكار، وفي هذا وحده دليل عقلي كاف للاقتناع بهذه المبادئ واليقين بوجاهتها وصوابها.

أما التقاليد فإنما هي تلك التيارات السلوكية التي ينحرف فيها الناس تلقائياً بمجرد باعث المحاكاة والتقليد لدى الإنسان، والمبادئ هي الخط الذي يجب أن ينضبط بها تطور الزمن، لا العكس.

والتقاليد هي مجموعة الطفيليات التي نبتت تلقائياً وسط الحقول الفكرية للمجتمع فهي الحشائش الضارة التي لا بد من اجتثاثها وتنقية سبيل التفكير السليم عنها.

وقد عاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على قومه أن يأسروا أنفسهم للتقاليد الموروثة عن آبائهم وأجدادهم دون تفكير منهم في مدى صلاحها وفسادها، ودعاهم إلى تحرير عقولهم من أسر الإتياع الأعمى وعصبية التقاليد التي لا تقوم على شيء من أساس الفكر والمنطق.

وفي هذا دليل على أن مبنى هذا الدين - بما فيه من عقائد وتشريعات - إنما هو على العقل والمنطق، وأن المتوخى في التمسك به إنما هو مصلحة العباد العاجلة والآجلة، ولذلك كان من أهم شروط صحة الإيمان بالله وما يتبعه من أمور اعتقادية أخرى أن يقوم على أساس من اليقين والفكر الحر، دون أدنى تأثر بأي عرف أو تقليد، حتى قال صاحب جوهرة التوحيد في أرجوزته المعروفة:

فكل من قلد في التوحيد إيمانه لم يخل من ترديد

ومن هنا تعلم أن الدين جاء حرباً على التقاليد، والدخول في أسرها، إذ هو قائم في كل مبادئه وأحكامه على أساس العقل والمنطق السليمين، على حين أن التقاليد قائمة على مجرد باعث الإقتداء والإتياع، أي دون أن يكون فيه لعنصر البحث والتفكير الحر أي تأثير، إذ أن كلمة التقاليد إنما تعني، في وضع اللغة العربية وما تواضع عليه عرف علماء الاجتماع: (مجموعة العادات التي يرثها الآباء عن الأجداد، أو التي تسري بمجرد

عامل الاحتكاك في بيئة من البيئات أو بلدة من البلدان، بشرط أن يكون عامل التقليد المجرد هو العصب الرئيسي الذي يمد في تلك العادات من أجل الحياة والبقاء).

فجميع ما اعتاده الناس من أنماط الحياة في مجتمعاتهم، ومن مظاهر اللهو في أفراحهم، ومن أشكال الحداد في مآسيهم وأحزانهم، مما حاكته عوامل التوارث القديم أو الاقتباس التلقائي عن طريق التأثير والاحتكاك جميع ذلك يسمى في اصطلاح اللغة وعلم الاجتماع (تقاليد).

إذا علمت هذا، أدركت أن الإسلام لا يمكن أن ينطوي على شيء مما يسمى بالتقاليد، سواء ما كان منه متعلقا بالعقيدة أو مختلف النظم والأحكام، إذ العقيدة قائمة على أساس العقل والمنطق، والأحكام قائمة على أساس المصالح الدنيوية والأخروية، وهي مصالح تدرك بالتفكير والتدبر الذاتي، وإن قصر عن إدراكها فهم بعض العقول لبعض العوارض والأسباب.

٧- فرق خارجة عن الملة: هناك ثمة فرق تكونت داخل الحظيرة الإسلامية، ولكنها اشتطت حتى

خلعت عنها رداءه وكونت لنفسها ديناً جديداً وهي (البابية وتدعى أيضاً بالبهائية، القاديانية)، أو تحللت من ريقة الإسلام بشكل أو بآخر ثم لم تخضع أو ترتبط بعد ذلك بأي دين وهي (الماسونية).

أولاً: القاديانية: نسبة إلى غلام ميرزا أحمد القادياني (١٢٥٢ - ١٣٢٦ هجرية)، الذي قام يعلن بأن الله إنما وعد بظهور مثل عيسى في الأرض لا بظهور عيسى نفسه، وبأنه هو ذلك المثل فهو المسيح الموعود، ثم راح يزعم أنه نبي ورسول مؤيد من الله، وصاغ لنفسه وحياً كالقرآن، وابتنى لنفسه مسجداً في بلدة (قاديان) وسماه المسجد الأقصى، وسمى بلده مكة المسيح، وسمى أزواجه أمهات المؤمنين، وراح يجمع من حوله الأتباع بكل وسيلة، والاستعمار البريطاني من ورائه يمدده ويغذيه بشكل مكشوف وملحوظ، وأخذ يحرف في شرع الله وحكمه كما يشاء (ومن جملة ذلك أن الجهاد منسوخ - لا سيما مع الانكليز - وذلك لموقفهم النبيل من المسلمين وحسن رعايتهم لهم !!).

ولم يزل على حاله تلك يدعي النبوة ويكذب على الله تعالى وأنبياؤه، ويضع نفسه للناس موضع عيسى بن مريم عليه السلام، إلى أن رماه قضاء الله تعالى بالهزيمة (داء الكوليرا) ومات في بيت الخلاء ساقطاً على وجهه فكان موته عبرة لأولي الأبصار.

وهذه المدرسة لا تزال في وقتنا الحالي، ولها وسائلها الإعلامية من قنوات فضائية وغيرها، ولا تزال مدعومة من قبل الحكومة البريطانية، ونحن نسوق لك شاهداً على ذلك، وهو ما ذكره الأستاذ الدكتور وهبة الزحيلي، في كتابه (آثار الحرب في الفقه الإسلامي)، على لسان المستشرق الإنكليزي المعروف (أندرسن)، ولننقل لك

عبارته من أولها:

(يخاف الغربيون لا سيما الإنكليز من ظهور فكرة الجهاد في أوساط المسلمين حتى لا تتوحد كلمتهم فيقفوا أمام أعدائهم، ولذلك يحاولون الترويج لفكرة نسخ الجهاد، وصدق الله العظيم إذ يقول فيمن لا إيمان لهم: **فإذا أنزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال رأيت الذين في قلوبهم مرض ينظرون إليك نظر المغشي عليه من الموت**)، ولقد قابلت المستشرق الإنكليزي أندرسن في مساء الجمعة ٣ حزيران ١٩٦٠، فسألته عن رأيه في هذا الموضوع، فكان من نصيحته لي أن أقول: إن الجهاد اليوم ليس بفرض، بناء على مثل قاعدة (تغيير الأحكام بتغير الأزمان)، إذ إن الجهاد في رأيه لا يتفق مع الأوضاع الدولية الحديثة، لارتباط المسلمين بالمنظمات العالمية والمعاهدات الدولية، ولأن الجهاد هو الوسيلة لحمل الناس على الإسلام، وأوضاع الحرية ورفي العقول لا تقبل فكرة تفرض بالقوة) انتهى كلامه.

ثانياً: البابية أو البهائية: نسبة إلى الميرزا علي محمد الشيرازي المولود في عام ١٨٢٤ م، والذي سمي نفسه بالبباب، إشارة إلى أنه الباب الوحيد الذي يمكن أن ينفذ منه الطالب ليصل إلى حضرة الله تعالى، كما سمي نفسه بالنقطة أي منبثق الحق وروح الله ومظهر قدرته وجلاله.

كان هذا الرجل في بادئ أمره من المسلمين المتعبدين، وكان يتمتع بأخلاق فاضلة وشمائل جذابة، ولكنه ما لبث أن اشتغل بتأسيس دين جديد مخالف للإسلام وراح يستنبطه بالتأويلات الباطلة والباطنية من كتاب الله تعالى، فانضم إليه رجال كانوا من أتباعه وانتشر له اسم في بلاد فارس، وقامت معارك بين جماعته وحكومة طهران، واستمرت المعارك مدة من الزمن، دون أن يكون لها من تأثير في القضاء عليهم.

خلاصة عقيدتهم: القول بأن مجموع الكائنات المتنوعة هو الله ذاته، وإذا قامت القيامة رجع الخلق إلى الله وفنوا في وحدته التي صدرت عنها، فيتلاشى إذ ذاك كل شيء إلا الطبيعة الإلهية، والقول بأن النبوة والوحي ليسا إلا من بعض مظاهر الاتحاد بين الله وعباده، وكل من النبوة والوحي في نظرهم باقيان مستمران وليس (الباب) إلا مظهرها لاستمرار الوحي والرسالة، فهو عندهم من أكبر الأنبياء الذين يؤكدون بأن زمن الوحي مستمر ولم ينقض بعد، وليس في عقيدة البابية جنة ولا نار، بل الأتقياء والأخيار يرجعون إلى الله ويحيون في ذاته، أما الأشرار فيفنون وينتهون، وللصلاة عندهم مظهرها الخاص بهم، ويكتفى منها بمرة واحدة في كل شهر.

ولما ظهر المدعو بهاء الله الذي نادى على نفسه خليفة للباب نسبت هذه الديانة إليه فسميت بالبهائية، وأعلن أتباعه بأن دين الله لم يتم إلا بظهور البهاء الذي هو أحد رسل الله في اعتقادهم.

وإنما تقوم ديانتهم وأفكارهم الخرافية الكافرة على التفسيرات والاستنباطات الباطنية والإشارية التي لا تعتمد على منطق ولا لغة ولا مقياس من مقاييس النظر والعلم.

وقد أسس جمال الدين الأفغاني للبهائية في استانبول (جمعية إيران الفتاة).

ثالثاً: الماسونية: وهي من أقدم التنظيمات التي عرفتھا المجتمعات الإنسانية، والحقيقة أن الماسونية يجدر بها أن تصنف مع التنظيمات الاجتماعية والسياسية الهدامة لا الفرق الخارجة عن الملة، غير أن من أخطر مظاهر هذا التنظيم بالذات أنه قائم في جوهره على نبد الإسلام وعلى الكيد له، وأنه يستهدف قطع شرايينه الاجتماعية وشل حركته عن طريق استقطاب الناس في أوسع دائرة عالمية باسم التناصر والتعاون الإنسانيين، فلا جرم ولا ريب أن الانضواء في هذا التنظيم يستلزم خروجاً عن الملة الإسلامية السمحة (بسبب ما لهذا التنظيم من أهداف وأبعاد قائمة في مجملها على محور الصهيونية العالمية).

فهو تنظيم حزبي موغل في السرية، سواء السرية من حيث أهدافه الأساسية، أم من حيث تنظيماته الإدارية والشكلية.

إلا أن أعضاءه ودعاته كانوا ولا زالوا يثبون في الناس أنه تنظيم إنساني يستهدف إقامة شبكة من التعاون الإنساني المطلق على أوسع رقعة من الأرض دون أن تضيق من مساحتها أو يقلل من قيمة هذا التعاون أي فوارق دينية (وفي مقدمتها الإسلام) أو مذهبية أو عرقية أو طبقية.

والماسونية تستهوي كثيراً من الناس أملاً منهم بالاستفادة من هذا الاتجاه والهدف الإنساني العام، لا سيما أولئك الذين يظل لهم مصالح متشعبة هنا وهناك، أي عند أناس يصعب الوصول إليهم فضلاً عن التعرف عليهم وفي مقدمتهم أصحاب الطموحات السياسية والمناصب الرفيعة.

والثابت أن الماسونية هي واحدة من أخطر التنظيمات اليهودية القديمة المتجددة، وهي تقوم على دعامة التناصر الإنساني في الظاهر لتجذب إليها أكبر قدر من أولي المصالح والنفوذ في العالم، حتى إذا انجذبوا إليها وشملهم نظامها السري وخضعوا لتعليماتها الصارمة الخفية اتجهوا جميعاً من حيث يشعرون أولاً يشعرون لتنفيذ المخططات اليهودية الصهيونية السرية الكبرى، على مستوى العالم كله، ثم تكون من جراء ذلك هذا عامل من أخطر العوامل لشل فاعلية سائر النشاطات الإسلامية أو الإنسانية الأخرى، دون شعور حتى منهم أنفسهم في كثير من الأحيان.

ويتدرج أعضاء هذا التنظيم في مراتب كثيرة ذات أسماء مختلفة، بشروط صارمة لا بد من اجتيازها، كما ويخضع أعضاؤها في مراحل معينة لرقابة وتهديدات مخيفة، ولهم رموز معينة خاصة يتعارفون بها في صمت، وسرعان ما يبذل بعضهم لبعض كل تناصر وعون على أساس ذلك، وهذه الرموز تتناسخ وتبديل من حين لآخر حتى تظل في طي الكتمان والسرية حفاظاً على سرية هذا التنظيم.